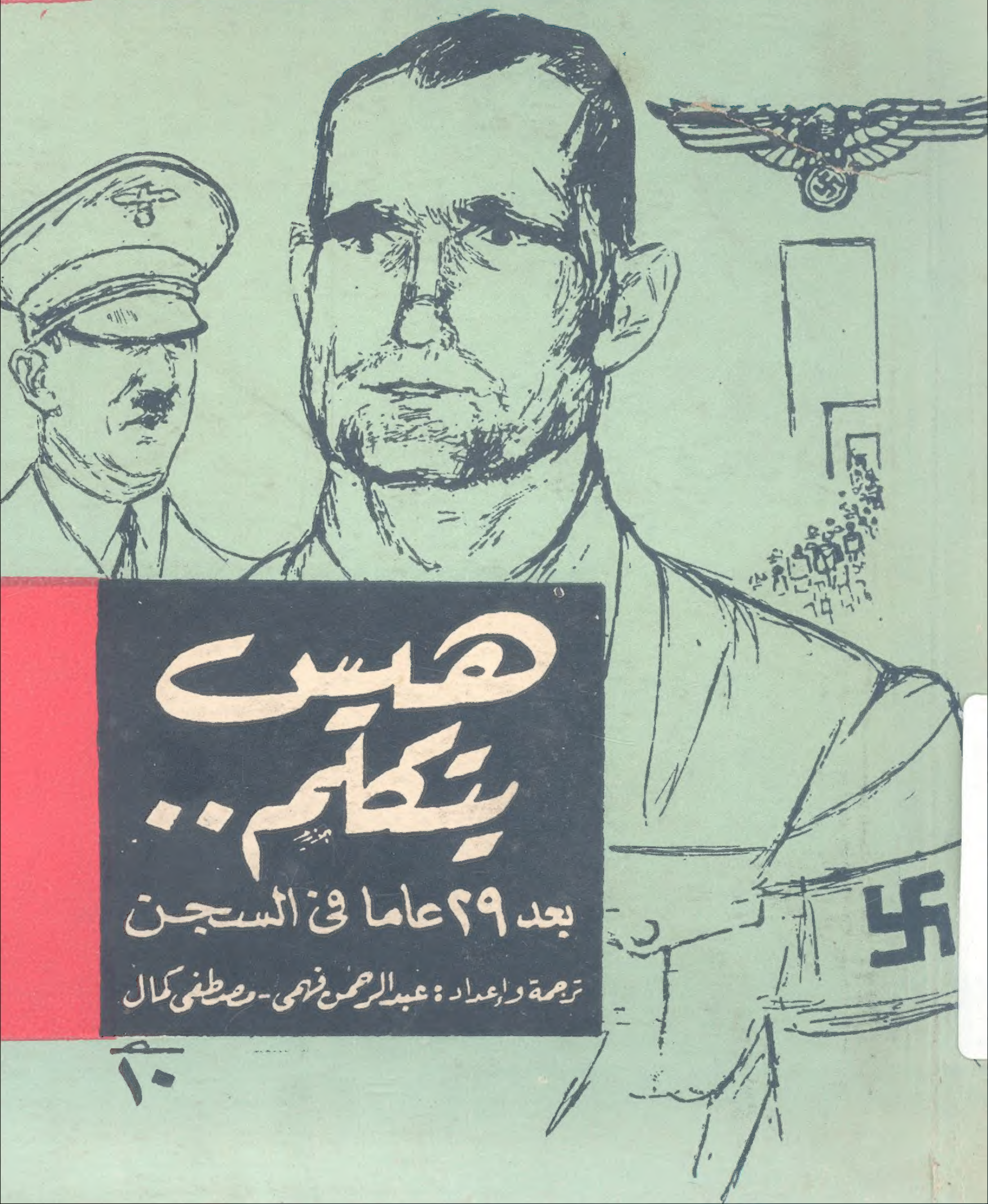
كتاب الجمهورية

العدد ١٩



كتاب الجمهورية

يصدر عن دار الجمهورية للصحافة

العدد التاسع عشر

الرسوم بريشة الفنان : محمود فرج

هيس يتكلم

بعد ٢٩ عاماً فى السجن

ترجمة وإعداد: مصطفى كمال - عبدالرحمن فهمى

إهداء

الى كل الناس ..

الى الجيل القديم :

الذى عاصر حادث سقوط رودلف هيس بالبراشوت فى بريطانيا .. للاجابة على عشرات من علامات الاستفهام التى علقت بالرؤوس طول الأعوام التسعة والعشرين الماضية .

.. والى الجيل الحالى

نقدم أغرب قصة فى تاريخ الحروب .. الرجل الثانى فى دولة منتصر يعرض الصلح على دولة مهزومة .. فترفض الدولة المهزومة الصلح ، وتأسر الرجل !! وتواصل الحرب حتى تنتصر !!..

مقدمة

منذ ربع قرن .. انتهت حرب ضروس .. حرب استمرت نحو ست سنوات .. اكتوى بنارها العالم كله .. وكبدت البشرية خسائر وآلاما وتضحيات ما زالت ذكرياتها تجثم على صدور الناس جميعا .. كأنها كابوس لا يطاق !!

وقد صدرت عن هذه الحرب آلاف من الكتب والبحوث والدراسات ، وكتبت مئات المذكرات بأقلام القادة الذين شاركوا فى معاركها من مواقع القمة ، سواء فى مناصب الحرب أو مناصب السياسة ..

ومع ذلك فما زال الكثير من أحداث هذه المجزرة البشرية الكبرى أسرارا غامضة لم يكشف عنها الحجاب بعد ..

وواقعــة « رودلف هيس » .. سر من هــذه الأسرار .. بل لا نغالى اذا قلنا انها كانت من أعظم مفاجـآت الحـرب العالمية الثانية اثارة ، واكثرها مدعاة للحيرة والتساؤل ..

ذلك أن « رودلف هيــس » لم يــكن شخصــا عاديا .. بل هــو نائب هتلر .. فى وقت كانت فيه امبراطورية الطاغية الألمانى تمتد الى شاطىء الأطلنطى غربا والى ما وراء وارسو شرقا ..

وكان هيس أقرب المقــربين الى هتلر ، وشريكه فى تأسيس قيادة الحزب النازى ، ومهندس الرايخ الثالث ، واحــد ثلاثة يتحملون المسئولية الأولى عن كل جرائم هذه الحرب ..

ففى يوم ١٠ مايو ١٩٤١ .. كانت بريطانيا تتأوه تحت عنف غارات الطائرات الالمانيــة التى بلغت ألف غارة فى اليوم ! ! .. وكان روميل فى شمال افريقيا يشق طــريقه نحــو الاسكندرية .. وكانت الدوائر العليا فى المانيا تتخذ فى سرية بالغة استعداداها من اجل توجيــه ضربة قاتلة للاتحــاد الســوفييتى .. وكان موعد هذه الضربة قد تحدد بالفعل ..

... فى هــذا اليــوم بالذات فوجىء العــالم كله « برودلف هيس » يقفز للمرة الأولى ــ وكانت الأخيرة ــ فى حياته .. بالبراشوت ..

... ولكن أين ؟ ؟

فى الجزر البريطانية ! !

فى أرض العدو ! .

لماذا فعل هيس ذلك ؟

هل كان هتلر يعلم بنية نائبه ؟

هــل كان هيس يحمــل معــه مشروع صــلح مع بريطانيا ؟

هل كان من الممكن أن تنتهى الحــرب بالنســـبة لبريطانيا فى ١٠ مايو ١٩٤١ ؟

ثم لماذا رفض تشرشل أن يقابل هيس ؟

وعشرات من الأسئلة ..

كل ذلك سيجيب عنه هيس بنفسه .. ولكن .. بعد ٢٩ عاما من الصمت ...

انها قصة مثيرة .. تعال نبدأها من الأول :



رودلف هيس يتحدث أثناء تناوله طعام الغـــداء وقت المحاكمة ..

كيف وقع الحادث
كما صورته الصحف
فى حينها

●● ليلة العاشر من مايو ١٩٤١ ..

كانت ليلة طويلة .. طويلة .. كانما ليس لها نهار ..

افواج تلو افواج من قاذفات القنابل تجتاز الشاطىء البريطانى ، وتلقى قنابلها تباعا ليصبح كل ما تحتها شعلة من النيران.

فى تلك الليلة بالذات .. كانت لندن تقاسى من أعنف غارة جوية عرفتها طوال الحرب ..

ولكن .. هناك فى الشمال .. على بعد ٨٥٠ ميلا من لندن .. كان كل شيء هادئا هدوء السلام ! !

لم يكن هناك خطر ما يهدد هذه المنطقة.. ولكن نجاة استولت الحيرة واستبدت الدهشة بكل العاملين فى محطة الرادار الصغيرة فى بلدة « انيفرنيس » .. عندما

التقطت المحطة صورة طائرة مجهولة كانت تقترب وحدها من الشاطىء الاسكتلندى ... قادمة من ناحية المانيا ! !

وارسلت المحطة اشارات التحذير في الحال الى كل الجهات .. وسرعان ما تبين ان الطائرة المانية الصنع .. من طراز « مسر شميدت ١١٠ » على وجه التحديد .

ولم يكن من السهل تصديق ما تقوله شاشة الرادار ، فهذا الطراز « مسر شميدت ١١٠ » طائرة مقاتلة محدودة المدى ، لا تستطيع أن تقوم برحلة من المانيا الى اسكتلندا ثم تعود .. ولكن لم يكن هناك مجال للشك .. فالصورة تنطق أمام العيون على الرادار !



وفى تلك اللحظة كان الملازم « توم هيزلوب » ضابط البوليس يقود سيارته فى الطريق الزراعى الواسع ، وبصحبته ابنته « نان » ، وهى طيارة بارزة فى السلاح الجو البريطانى .. حين سمع راديو السيارة يقطع برنامجه ، ويعلن فى حالة هيستيرية :

« اجتازت طائرة معادية أراضينا ... وهى تتجه الآن نحو جلاسجو ... لم نتعرف بعد على الطائرة ... ولكن يجب اعتبارها

معادية .. على جميع الجهـات المختصـة الاستعداد » .

وظل الراديو يكرر الاعلان .. كل خمس دقائق ..

والأب وابنتـه يواصـلان السـير فى طريقهما في صمت .. ثم فجأة صرخ الأب :

ـ انى أسمع أزيز طائرة ! !

واستطاعت الابنة أن تلمح نقطة فضية لامعة تطير فوقهما ، وما لبثت طويلا حتى أدركـت بخبرتهـا أن الطـائرة تلقى بعض المتاعب .. فصرخت قائلة :

ـ هذه الطائرة تسير بلا قائد !

وأمسك الأب والابنـة بمنظار مـكبر ، فلمحا من بعد « براشوت » كالزهره البيضاء المتفتحة..واستمرت الطائرة تزأر مبتعدة.. وقد وضح أنها فقدت توازنها تماما ، وأخذت تترنح ، وأن هى الا لحظات حتى دوى صوت ارتطامهـا بالأرض ..وقـد قـدر الأب « هيزلوب » مكان سقوطها على بعد نحو ميل ونصف ميل .. فأسرع بسيارته اليهـا .. ولكنه ما لبث أن ضغط على فرامل السيارة بشدة .. لقد سمع صوت أنين فى الأرض.. داخـل مـزرعة .. فنزل من سيارته وبدا

يبحث عن مصدر الصوت ! »

في هــذه المزرعــة كان كــوخ صــغير أبيض يقيم فيــه « دافيد مــاكلين » كبير سائقي جرارات المزرعة .. وداخل الـكوخ كان « دافيــد ماكلين » يخلع ملابســه في اللحظة التي سمع فيها هدير محرك الطائرة فأرسل بصره من خــلال النافذة المفتوحة ، متطلعا الى السماء ، فلم ير شيئا .. ولكنه عاد وقال :

ـ آه .. ها هو !!

وكان قد رأى في صعــوبة شــديدة « براشوت » يسبح في الفضاء ، هابطا الى الأرض .. وهرع الرجل خارجا الى البوابة المؤدية نحو المرعى.. وهناك وجد البراسوت قد سبقه الى الأرض .. وعندما وصل اليه رأى الطيار وهو يحاول أن يفك رباط المظلة ، فأمسك بخيوطهــا ، حتى اذا ما استطاع الطيار أخيرا أن يخلص نفســه أخذ ماكلين يتطلع اليه متسائلا :

ـ هل انت الماني ؟

كان رجل البراشوت ما زال جالسا في مكانه ، وأخذ يحاول أن ينهض بعد أن التقط أنفاسه .. ولكن قدمه اليمنى لم تستطــع أن تتحمــل ثقل جسمه ، فساعده ماكلين حتى استوى واقفــا .. وعنــدئذ أجــابه بالانجليزية ... ولكن بلكنة غريبة !

ـ نعم انا الماني .. اسمى هوفمان هورن !

وكان واضحا من لهجته أنه يتحدث بلهجة ودية ، كانما يرجو أن يلقى بعض العون .. واضاف الرجل الغريب :

ـ أرجوك .. هل تستطيع أن تاخذنى الى « دونجافل هاوس » ؟ ؟ .. لا بد أنها قريبة جدا من هنا .. أنا أريد أن أقابل دوق هاملتون بأقصى سرعة ! .

وفى هذه اللحظة دوى صوت انفجار الطائرة .. فسأله ماكلين فى انفعال :

ـ هل كان معك أحد فى الطائرة ؟

ـ لم يكن معى أحد ..

ـ هل تحمل سلاحا ؟

ـ أنا لست مسلحا بالمرة .. وتستطيع أن تتأكد من ذلك بنفسك ..

ورفع الرجل الالمانى ذراعيه الى أعلى مستعدا لأى تفتيش .. ولكن قائد جرارات المزرعة ماكلين رفض ذلك .. فاستند الألمانى بذراعه فوق كتف ماكلين ، متكئا بثقله كله عليه .. وأخذ الاثنان يتقدمان ببطء نحو بوابة المزرعة .. وقد بدا واضحا أن قدم الألمانى اليمنى مصابة ..

وكانت مسز ماكلين واقفة عند الباب تسترق السمع من بعد .. ثم أخذت تتطلع

مشدوهة الى ما ترى .. فقال لها زوجها !

ـ ان لدينا ضيفا الليلة ! ..

وتراجعت السيدة بسرعة نحو المطبخ ، ودخل رب الاسرة والطيار الى المنزل .. فارتمى الطيار بسرعة على مقعد وثير بجانب المدفأة .. وعاد يسأل :

ـ قل لى سيدى .. هل « دونجافل هاوس » بعيدة عن هنا ؟

ـ كلا .. فقط عشرة اميال !

ـ هل تستطيع ان تاخذنى الى هناك ؟ ؟

فهرش ماكلين رأسه . ثم قال :

ـ الأفضل ان ننتظر الجنود ؟



وكان ضابط البوليس « هيزلوب » وابنته الطيارة « نان » قد لحقا بالطيار الهابط بالبراشوت ، فاتفقا مع ماكلين قائد جرارات المزرعة على أن يهرولا الى وحدة من وحدات الاشارة القريبة لابلاغ الحادث الى الدوائر الرسمية ..

واخذت مسز ماكلين وابنها وابنتها يرشفون الشاى .. بينما تناول الرجل الالمانى قدحا من الماء .. لقد كان زمن الحرب ، وكل شيء يباع بالبطاقة : الشاى والسكر والخبز واللحم والبيض واللبن والسمك .. كل شيء !

ومــرت اللحظــات بطيئـــة .. وماكلين يسـائل نفسـه :

ـ لماذا تأخر الجنود ؟

ثم بدأ يتطلع الى أسير، فاحصا .. ان ثمة أشياء غريبة فى هذا الرجل .. انه يبدو فوق الخمسـين .. وفى هذه السـن يكون الطيارون عادة قد تقاعدوا منذ سنوات .. ثم ان هـذا الرداء الـذى يرتديه يبـدو من قماش فاخر حقا .. وفى يده اليسرى ساعة من الذهـب ولهـا (أستيك) من الذهـب أيضا ! ! والحذاء فى ساقه تبدو من أطرافه بطانة فرو ناعمة . وعندما يتحدث تظهـر جيدا فى طيات حديثه لهجة آمرة .. كأنما تعود دائما أن يأمر فيطاع .

ـ كلا .. ان هذا الرجل غير عادى ..

هكذا قال ماكلين لنفسـه .

وقطع تفكير ماكلين صوت طرقات على الباب .. وهرعت مسز ماكلين لتفتح لشـابين من رجال سلاح الاشارة .. دخلا على الفور بطريقة الاقتحام .. وقال أحدهما بسرعة :

ـ اين الأسير الألمانى ؟

ثم جاءت طرقة اخـرى على البـاب .. ودخل اثنان آخـران فى ثياب مـدنية .. ولـكن على راسـيهما خـوذة عليها كلمـة « بوليس » .. انهما من رجـال الحـرس

الوطنى .. فى يد أحدهما مسدس ..
وقد شهره بطريقة فيها شىء من الخطورة !
أرهبت كل من فى البيت ..

... وقال فى غلظة وتهكم :

ـ هل هذا هو الأسير الألمانى الذى يجلس بجوار المدفأة كأنه ضيف عزيز ؟ ؟ ! !

وهرش ماكلين ـ صاحب البيت ـ رأسه .. وصمت .. ثم قال :

ـ هل ستأخذونه الى نقطة البوليس ؟

ـ لا .. سنأخذه الى مقر الحرس الوطنى .. هذه هى التعليمات .

وقد بدا الألمانى مستعدا الى آخر مدى للتعاون مع رجال البوليس .. وأصر على مصافحتهم جميعا .. حتى هذا الرجل الذى يشهر مسدسه فى وجه الجميع ! !.. وكان يشد على يد كل منهم بطريقة عسكرية .. ثم أحنى رأسه محييا آل ماكلين ، شاكرا لهم حسن ضيافتهم .. ثم ركب السيارة مع رجال الحرس الوطنى .

وانطلقت السيارة الى مقر الحرس الوطنى فى بلدة « يوزبى » .. وكان مقر الحرس هناك ناديا قديما للكشافة .. وقد سار أحد الرجلين أمام الطيار الالمانى ، فى حين سار الثانى خلفه وقد شهر مسدسه فى ظهره ، بطريقة لا داعى لها .. وكان عليهم

ان يسيروا فى ممر طويل مرصوف بالأسمنت المسلح حتى مدخل احدى القاعات..وما ان اقتربوا من القاعة حتى سمع الجميع صوت ضحكات هيستيرية لرجال بالداخل .. حاول الرجل الذى فى المقدمة أن يفتح الباب ، ولكنه وجده مغلقا من الداخل ، فدق بعنف شديد ، فهدأت موجة الضحك ، ولكن احدا لم يفتح ، فعاد يدق بعنف أكثر ، وهو يهتف بصوت آمر كانه يزأر

ـ افتح الباب .. معنا اسير المانى ! !

ودار المفتاح فى القفل .. وفتح الباب على مصراعيه .. وبدا واضحا ان رجال الحرس كانوا فى اجازة .. أو على الاقل فى استراحة .. كل منهم فى مرحلة من مراحل خلع الملابس ! ! .. معظمهم فى الخمسينيات ، وبعضهم قطعا بلغ مرحلة الستينيات ! ! .. كان منظرهم فى الحقيقة ظريفا .. خصوصا بالنسبة للرجل الالمانى الذى لم يستطع ان يمنع شبح ابتسامة تراقصت على شفتيه !

ولمح أحد حارسيه الابتسامة ، فثارت فيه عنجهية الامبراطورية البريطانية ، وصرخ فيه بصوت عال !

ـ انتباه ..

فوقف الطيار الالمانى المستسلم وقفة عسكرية سليمة .. واخذ رجال الحرس

الوطنى يحملقون فيما أمامهم بما يشبه البلاهة .. كان آخر شيء يتصورونه فى تلك اللحظة ان يؤتى بطيار المانى اسير يحرسونه.

ثم استدار الرجل « ليشخط » « ينطر » فى الجنود ويقول مرة اخرى :

- انتباه !

وفى ثوان قليلة حافلة بالحركة المضطربة كانت الملابس المعلقة قد وجدت أماكنها على اجساد الرجال .. والبنادق ذات السناكى المشروعة فوق الاكتاف .. وسرعان ما شكل رجال الحرس الوطنى طابورا مهلهلا .. كل ذلك كان يجرى .. وكان احد الرجلين يراقب الاسير الالمانى بدقة .. فى حين كان الأسير يبتسم فى سخرية .. وخيل الى الرجل الاسكتلندى أن الأسير كان يقول قطعا فى هذه اللحظة :

- ان شيئا كهذا لا يمكن ان يحدث فى المانيا ، حيث نعرف شيئا اسمه .. النظام !



وهنا دفع احد رجال الحرس الوطنى بابا بقدمه ، فانفتح الباب عن حجرة صغيرة .. وقال الرجل للأسير :

ـ ادخل الى هنا ..

نشد الألماني قامته في كبرياء .. وقال له :

ـ انا ضابط الماني ..

فأشار الرجل بمسدسه مهددا .. وهو يقول صائحا :

ـ لا يهمني .. حتى لو كنت السفاح هتلر نفسه ..

وكان يقول هذا الكلام بلهجة المبالغة الكبيرة .. جدا .. ولم يكن يعرف انه يخاطب الرجل الثاني بعد هتلر !!





دافيد ماكلين كبير سائقى جرارات المزرعة .. التى سقط فيها هيس بالباراشوت .. وكان اول شخص يقابل هيس فى بريطانيا ..

الفصل الأول

هيس يتكلم !!

هتلر كان يعلم كل شيء

((استعد اليوم .. لأقول لك اخطر سر في الحرب العالمية الثانية)) .

ـ هل كان هتلر يعلم برحلتي ؟

● نعم .. لقد تمت الرحلة بعلم هتلر وبموافقته .. اكثر من هذا .. لقد تناقشت معه في هـذه المغامرة عـدة مـرات على التفاصيل الغريبة التي سأرويها لأول مرة في هذا الكتاب ..

وقد تسألني :

ـ ولكن ما سبب هذه الرحلة ؟

فأقول لك في بساطة وصراحة ووضوح !

● كان الهدف من الرحلة عقد صلح مع بريطانيا للاشـتراك معها في الهجوم على روسيا .. مع أحلام بتحقيق السيادة على العـالم كله .. المانيا تملك أوروبا كلها ، وبريطانيـا تحتفـظ بمستعمراتها فيما وراء البحار .

وقد تسألني :

ـ وما هي تقديراتكم في امكان نجاح الرحلة ؟
فأقول لك :

● لم يكن هتلر او انا نشك لحظة واحدة فى أن بريطانيا ـ وهى فى هذه الحالة السيئة للغاية ـ يمكن ان تتردد لحظة واحدة فى قبول هذا العرض »

وقد تسألنى :

ـ وما سبب هذا اليقين ؟

فاجيبك :

● ان بذور هذا اليقين كانت مفروسة غرسا فى أذهاننا بفضل رجل معين له نفوذ عظيم على عقلية الحزب النازى كله .. هو البروفيسور كارل هوشوفير .. انه الرجل الذى لعب أخطر دور فى النازية من وراء الستار .. انه مفكر الحزب وملهمه .. وكان خير تلاميذه هو .. انا .. **رودلف هيس** .



ولكن من انا ؟.. هل تسمح لى بان اقدم لك نفسى ؟

« لقد ولدت فى الاسكندرية ميناء مصر الكبير عام ١٨٩٤ .. لأبوين المانيين ثريين هما فريتز وكلارا هيس .. وعندما بلغت الخامسة عشرة من عمرى أوفدنى والدى الى مدرسة التجارة العليا فى سويسرا .. لكى أواصل تعليمى ، الذى كنت قد بدأته فى المدرسة الألمانية فى الاسكندرية .. وكانت النية معقودة على ان استكمل دراستى بعد ذلك فى جامعة اكسفورد بانجلترا .. ولكن الحرب العالمية الأولى اندلعت ، فانخرطت فى سلك الجندية وكنت لم ابلغ بعد الرابعة والعشرين من عمرى .

وعملت فى فرقة المشاة البلغارية الأولى .. ومن المصادفات الغريبة كانت نفس الفرقة التى يعمل فيها « ادولف هتلر » .. ولكننا لم نتقابل ، فقد كان هتلر يعمل جندى مراسلة ليس الا !! أما انا فكثيرا ما كنت أسافر الى الجبهة الغربية لاحارب واعود !

وانتهت الحرب العالمية الأولى ..

وكان أهلى لا يزالون فى مصر ..

وتلقيت يوما خطابا من والدى يطلب منى العودة الى الاسكندرية لكى اشاركه عمله فى التجارة .. وكان يملك ثروة لا بأس بها فى مصر .. ولكننى فضلت أن أكمل تعليمى ، فالتحقت بجامعة ميونيخ ، ودرست هناك التاريخ والاقتصاد والعلوم السياسية .

وفى هذه الجامعة التقيت بقدرى .. التقيت بالبروفيسور كارل هوشوفير استاذ العلوم السياسية .

وكان هوشوفير رجلا علامة .. ولكن ايمانه ببعض النظريات كان يبلغ حد اليقين الاعمى .. مثله فى ذلك مثل كثير من العلماء الأفاضل . ويرجع هذا الى أنه كان دارسا لعلوم الفلك والغيب والأحاسيس المبهمة .. وما الى ذلك .. كان مثلا يستطيع أن يقرأ الغيب لأى شخص بمجرد وقوفه على بعض المعلومات عنه مثل تاريخ مولده ومكانه واسمى والديه .. بل أكثر من هذا .. كان هوشوفير هذا يستطيع أن يقرأ الغيب بالنسبة للدول نفسها من وضعها الجغرافى وخطوط الطول والعرض التى تمر بها . والحركة الفلكية فوقها والمادة التى تتكون منها تربتها .. وكانت للبروفيسور نظريات سياسية وفلسفية معينة مكتملة لا تقبل المناقشة .



وكنت فتى صغيرا غريرا ساذجا ، عندما بدأت أدرس على يدى هذا البروفيسور الخطير ..

وكنت ساخطا على الوضع الاقتصادى والسياسى المحزن الذى آلت اليه (المانيا) .. وبدا لى أن هوشوفير يعرف الطريق لحل كل مشكلات بلادى .. لقد انفق سنوات فى اعداد الخطة

السياسية الفلسفية الكاملة لبلادى .. وهكذا تشربت كل أفكار معلمى « الغريب » !

تعلمت منه أن الجنس الآرى هو الجنس الوحيد فى العالم الجدير بسيادة كل الدول .. ونحن (الألمان) خلاصة هذا الجنس الآرى .

وتعلمت منه أيضا أنه لا بد لألمانيا أن تحكم أوروبا كلها من الاطلنطى الى الأورال ! .



وكان البروفيسور الخطير يقول لى من آن لآخر بصيغة الجزم والتأكيد .. كأنه قارىء كف ، أو كاهن فى معبد مكشوف عنه الحجاب .. كان يقول :

ـ سوف يظهر فى المانيا ذات يوم زعيم سيجعل الألمان هم اسياد العالم .

وكنت أؤمن بهذا الكلام الى درجة اليقين .. حتى اننى ذات مرة طلبت من هوشوفير أن يصف لى هذا الزعيم المنتظر .. فقال لى :

ـ انه رجل غير عادى .. يتمتع بمواهب فذة .. وافكار متميزة !

ـ ومتى سيظهر ؟

ـ انه بيننا الآن .. وسيحتل مكانه قريبا !



وتمر الأيام .. ويتم اعلان تشكيل حزب جديد هو الحزب الاشتراكى الوطنى (النازى فيما بعد) فانضممت اليه بشكل آلى .. بعد أن وجدت أن مبادئه تتفق مع ما قاله لى هوشوفير ..

كان رقم عضويتى ١٦ بينما كان رقم ٧ خاصـــا بشخص اسمـــه (ادولف هتلر) .

وفى اول اجتماع للحزب سمعت رقم ٧ يتحدث ، فايقنت ان هوشوفير كان يقصد هذا الرجل !

ومع احتلاطى بهذا الرجل أصبح يقينى عقيدة .. ثم تحولت العقيدة الى جنون به !

ساروى لك حادثة أثبت لك فيها مدي ولائى المبكر لهتلر .

فى احد اجتماعات الحـــزب الأولى نشبت معـــركة فـكرية ، وتحمس كل طرف لرايه ، وتحولت المناقشة الى معركة بالأيدى .. وفى لحظة لمحت زجاجة بيرة مـكسورة فى طريقها لكى تهـــوى بعنف فوق راس هتلر ، فبسرعة البرق تلقفتها بذراعى ، فحميت راس الزعيم المنتظر .. وتمزق ذراعى ، وسال دمى بغزارة فوق راس هتلر وملابسه .. ولـكننا اصبحنا منـــذ ذلك اليوم توامين لا ينفصلان !



وفى عام ١٩٢٣ ..

انكشف امـــر الجماعة السرية التى كنا نعمـــل بها .. وتم القبض علينا ـ هتلر وأنا وعدد من الرفاق ـ وحـــوكمنا جميعا ، والقى بنا فى سجن قلعة « لاندسبرج » .. فى هذا الســـجن الف هتلر كتابه الشهير « كفاحى » !

وهنا اذيع سرا آخر لأول مرة فى حياتى ..

لقـــد كان العـــديد من النظـــريات السياسية والفلسفية التى تضمنها كتاب « كفاحى » هى نظـــريات البروفيســـور هوشوفير التى نقلتها لهتلر ، فاقتنـــع بها .. وقد بلغـــت حماسته لهـــذه النظريات ولصاحبها ان اصبح لا يزورنا فى الســـجن سوى

البروفيسور هوشوقير .. كان هتلر يقول لادارة السجن ان هذا الرجل هو قريبه الوحيد .. وكانت الفترات المسموح لنا فيها بالزيارة هى دروس سياسية وفلسفية .

وخرجنا من السجن وفى ذهننا البرنامج السياسى الذى تحول بعد سنوات قليلة الى دستور دولة المانيا النازية ! !



واذكر يوم الافراج عنا ان وجدنا سيارة مرسيدس فخمة عند الباب .

لم نصدق طبعا ان هذه السيارة تنتظرنا .. فاذا بمفاجأة اخرى داخل السيارة .

ان بها فتاة رائعة الحسن هى (الزى بروهل) عضو الحزب ، وعضو الخلية السرية معنا .

وقد توثقت العلاقة بين اثنين على النقيض .. رجل فكر فقير هو انا ، وفتاة ثرية ولكنها ذات مبادىء أيضا هى (الزى) .. ولم يكن قبول (الزى) الزواج بى فى هذه الفترة الا تضحية ضخمة من جانبها .. لقد قبلت الزواج من اجل شخصى فقط .. فلم تكن تحلم أن هذا الرجل سيكون بعد اقل من عشر سنوات الرجل رقم ٣ .. فى العالم ! !



وعندما تركت السجن .. لم يكن لى الخيار !

ــ هل اتوب عن العمل السياسى ؟

ــ لا .. لن استطيع .. فهل يمكن مثلا ان افرغ دمى كله من عروقى واستبدل به دما آخر لا تجرى فيه السياسة ؟ ؟

فبقيت فى الخلية السرية تحت الأرض .. وفى الحزب الاشتراكي الوطني (النازى) .. فوق الأرض !

وفى هذه الفترة الحقنى البروفيسور كارل هوشوفير بالعمل معه فى الأكاديمية الألمانية بميونيخ .. لا طالب علم ، بل مساعدا له فى عمله .. الى جانب تلك الفرصة الرائعة التى ستتاح لى للتزود بالنظريات العجيبة لهذا الرجل الذى أصبحت أفكاره جزءا لا يتجزأ من سياسة النازى فيما بعد .

وكان هتلر يقضى معظم وقته معنا فى الأكاديمية .. بمكتب البروفيسور .. حيث كنا نكتب وثائق الحزب ومنشوراته وكتيباته !!



وتمر الأيام ..

ويجىء يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ ..

ويتولى هتلر السلطة .. وأخذ نفوذى فى هذه الدولة الجديدة يتعاظم بسرعة رهيبة .. فيكفى أن تعرف أن برنامج الحزب وجميع قوانينه من وضعى أنا ..

ولم تمض خمس سنوات حتى احتللت المركز المناسب .. نائب هتلر رقم ٢ بعد جورنج .. حقيقة كنت أولى من جورنج بمركز النائب الأول ، ولكن ولائى واخلاصى لهتلر لم يتزحزح قيد أنملة .. كنت عندما يذكر اسم هتلر أمامى تنتابنى رعشة حب ورهبة واحترام !



ـ هذا هو أنا .. رودلف هيس الذى طار الى بريطانيا يوم ١٠ مايو سنة ١٩٤١ فى أغرب رحلة فى التاريخ الحديث واشدها خطرا .

ـ ولكن لماذا قمت بهذا العمل الجنونى ؟

ـ ان هوشوفير هو السبب ..

ــ كيف ؟

ــ لذلك قصة طويلة .. تعال نبدأها من الأول



لقد كان صعود هتلر الى السلطة بالنسبة لى تأكيدا حاسما لصدق كل نظريات البروفيسور هوشوفير الذى أصبح لى ولهتلر صاحب الوحى الذى نلتمس لديه الرأى والمعرفة ..

فهوشوفير هو الذى ألح على هتلر أن يوقع اتفاقية ميونيخ مع تشمبرلن رئيس وزراء بريطانيا .. وهذا سر آخر أذيعه لأول مرة .

بل ان هوشوفير كان يعلم طول عمره ان المانيا لا يجوز أن تعلن الحرب ضد انجلترا .. لأى سبب من الأسباب !

ولكن بمرور الأيام ..

وكان هتلر قد ذاق طعم السلطة ــ واسكرته انتصاراته الداخلية والديبلوماسية ــ لم يعد يستمع لاستاذه هوشوفير .. بل لم يعد الاثنان يلتقيان أبدا .. هوشوفير لا يسعى لأحد ، لأن فيه عظمة الاستاذ وأنفته وكبرياءه .. هتلر مشغول « لشوشته » بالسلطة !

وفى سبتمبر سنة ١٩٣٩ أعلن هتلر الحرب ضد بريطانيا .. رغم ارادة استاذه .. الكبير ..

غضب الاستاذ .. ولكنه سكت !



وذات يوم من شهر ابريل عام ١٩٤١ هرولت الى منزل هوشوفير .. ودققت الباب فى عنف .

ـ بروفيسور .. بروفيسور ..

ـ رودلف .. ماذا بك ؟ ؟

قلت له في جزع شديد :

ـ ان هتلر يريد ان يغزو روسيا ! !

وجزع الرجل العجوز جزعا شديدا .. وامتعض .. كانت كل تعبيرات وجهه تدل على الاشمئزاز .. فقال :

ـ وماذا سافعل ؟

ـ الم تتعلم انه لن تكون هناك حرب في جبهتين ؟

ـ بل ان هتلر نفسه كتب هذا في كتابه ((كفاحي)) .. انه مخطيء اشد الخطأ ..

ـ ان الوحيد في العالم الذي يستطيع ان يقول لهتلر انت مخطيء هو انت ..

ـ ولكنه لم يعد يستمع لكلامي ..

ـ افعل ما يمليه عليك ضميرك من اجل المانيا ..

وارتدى الرجل ملابسه ونزل معي الى حيث اجتمعنا بهتلر فورا .. وكان دخوله على هتلر مفاجأة له .. واقتنع هتلر بوجهة نظر هوشوفير .. الحرب في جبهتين جنون .. الجنس الآرى لا يحارب بعضه بعضا .. كان من الخطأ اصلا ان تعلن المانيا الحرب على انجلترا .. الحل السليم والطريق الوحيد هو

عقد صلح عاجل مع انجلترا .. ثم البدء فى التفكير فى الهجوم على روسيا .

ووقف هتلر فى منتصف حجرة مكتبه الواسعة جدا .. وبدا يطرق برأسه الى اسفل .. ثم يضرب برجله الأرض .. وهذه هى طريقته احيانا فى التفكير المضطرب .. ثم قال :

- انا لست مستعدا لحظة واحدة ان ابدى اى ضعف من جانب المانيا فى تصميمها على سحق كل من يقف امام آمالها .

فرد هوشوفير :

- اذن انت غير مقتنع بما اتفقنا عليه ..

- بل مقتنع تماما .. ولكن ما هو الطريق ؟ .. انا غير مستعد اطلاقا لأن اظهر بمظهر الضعيف المتخاذل !

هكذا رد هتلر على هوشوفير .. وسكت لحظة .. ثم عاد يقول :

- ما رايكم فى عملية جس نبض للتعرف على مدى استعداد بريطانيا لعقد صلح معنا ؟

- كيف سنقوم بهذه العملية ؟ (هكذا سالت انا) ..

- ساخطب فى الريشستاخ بعد خمسة ايام وساضمن خطابى عرضا للصلح ..

وبدأنا جميعا .. هتلر وهوشوفير وانا .. نضع بكل دقة وحكمة كلمات الخطاب الذى جاء فيه على لسان هتلر :

« ينبغى على المستر تشرشل أن يصدقنى عندما اقول سلفا أن امبراطورية معينة سوف تتحطم .. امبراطورية لم يكن فى نيتى ابدا ان احطمها او الحق الضرر بها .. والواقع انى لا ارى

مبررا لاستمرار الحرب بعد اليوم .. اقول هذا وانا أعلم أن الترجمة الانجليزية الحرفية لخطابي يسمعها المستر تشرشل الآن » ..

وقد جاءنا الرد من تشرشل على شكل خطاب في مجلس العموم في اليوم نفسه .. اذ قال :

« في الحقيقة كلام هتلر اليوم ليس عرضا للسلام .. انما هو مجرد ابداء استعداد لقبول استسلام بريطانيا .. وقبول تخليها عن المبادىء التي دخلت الحرب من أجل الحفاظ عليها » (*)



وفي مساء نفس يوم خطاب تشرشل .. عقدنا اجتماعنا الثلاثي الثاني في مكتب هتلر .

لقد فشلت عملية جس النبض الاولى .. فما الحل ؟ (**)
ولكن هتلر صرخ قائلا :

ـ ان تشرشل قطعا لا يتحدث باسم الشعب البريطاني الذي يذوق ويلات الحرب ..

فقال هوشوفير :

ـ ان ابني الدكتور كارل في اسبانيا .. وهو صديق حميم للدكتور هاميلتون .. ودوق هاميلتون على صلة وثيقة بتشرشل .. .. أنا أقترح استدعاء ابني كارل من اسبانيا وتكليفه بالسفر الى اسكتلندا لمقابلة دوق هاميلتون ليعرض الصلح رسميا على بريطانيا .

فصاح هتلر :

ـ ان انجلترا لن تقبل الصلح الا اذا عرضه شخص تثق به انجلترا ثقة عمياء .

وصمت هوشوفير لحظة .. وأمسك بذقنه .. وقال :

ـ انا معك .. لا بد من سفر شخص يثق فيه الانجليز ، ويتأكدون تماما وعلى وجه اليقين أنه يتحدث باسم هتلر نفسه .. مخولا كامل السلطات للتفاوض باسم الدولة الألمانية .. من ترشحه للسفر اذن ؟

فهز هتلر رأسه .. وابدى عدم حماسته للموضوع كلية .

ثم وقف .. وهـذا يعنى ان الاجتماع انفض .. وعلى المجتمعين أن ينصرفوا فورا !



.. ولما خرجنا من السجن .. وجدنا فتاة رائعة الحسن وثرية جدا هى (الزى بروهل) .. تزوجتنى .. مضحية بكل شىء .. ولم تكن تعلم أن بعد أقل من عشر سنوات من هذا الزواج سأصبح الرجل رقم ٣ .. فى العالم كله !!



بروفاسير كارل هوشوفير
... الرجل الذى لعب
اخطر دور فى النازية من
وراء الستار

الفصل الثانى

رجل الأقدار

خرجنا .. هوشوفير وانا .. من مكتب هتلر بعد ثانى اجتماع لنا قرب منتصف الليل ينظر كل منا للآخر .. كأننا نجر أذيال الخيبة .

ـ ما الحل ؟ ؟

هكذا تساءلت فى السيارة .. ولكن هوشوفير لم يرد .. انه مستغرق فى تفكير عميق . على أن ملامحه كانت تدل على أنه حزين جدا .

وفكرت طول الليل فيمن هو « رجل الاقدار » الذى يجب أن يقوم بهذه المهمة الخطيرة .. يطير الى لندن ليعقد صلحا مع بريطانيا ! ! .. وفكرت فى اثنين فقط يمكن أن يمثلا هتلر شخصيا فى هذا المهمة .. أما جورنج أو .. أنا ! !

وفى الصباح اتصلت باستاذنا هوشوفير أعرض عليه نتيجة تفكيرى هذا .. وسألته :

ـ ما رأيك .. أنا أم جورنج ؟ وكيف نقنع جورنج ؟ .. وهل جورنج يستطيع أن يطير فى هذه المهمة الخطيرة ؟ ..

فقال البروفيسور مقاطعا :

ـ الحل الوحيد عدم توسيع دائرة الموضـوع .. وعليك ان نطير أنت الى اسكتلندا في الشمال..بعيدا عن الغارات العاصفة في الجنوب .. وتقابل دوق هاملتون هناك .

ـ هكذا بدون علم الفوهرر ! !

ـ لا .. لا بد أن يكون بعلمه .. واقتناعه أيضا .. والا فلا جدوى من السفر .

ـ ولكنه غير مقتنع .

ـ سيقتنع عندما تستعد أنت للرحلة من كل الوجوه !



ـ انا حقيقة طيار قديم ، ولكنى لم اطر منذ ١٩ سنة .. اذن لا بد من أن اتدرب من جـديد على الطائرات (الحديثة ! !) .. ولكنى فوجئت بعقبة لم تكن فى الحسبان .

ان (أرنست يوديت) قائد السـلاح الجـوى الألمانى رفض السماح لى بالطيران بدون موافقة كتابية من هتلر ! !

.. أنا النائب الثـانى لهتلر .. لا يسـمح لى قائد الطيران بالتحليق فوق برلين بالذات ، أو استخدام اى مطار من المطارات القريبة من برلين الا بعد اذن كتابى من هتلر .. شخصيا ! !

ولم أجرؤ على طلب هذا الاذن من هتلر .. ولكنى ذهبت الى (فيلى مسر شميدت) صاحب مصنع أحـدث الطائرات المقاتلة ماركة (مسر شميدت ١١٠) .. انه واضـع تصميمها ايضا .. فهو بروفيسور فى هندسة الطيران .. وهو أيضا صديق قديم .. والتمست منه المساعدة .. فأمر اثنين من مساعديه بتدريبى فى رحلات قصيرة فوق منطقة (أوجسبورج) .. وبعد يومين فقط فى التدريب استعدت ثقتى بنفسى تماما .. واتصلت بالبروفيسور هوشوفير .. لأقول له هاتفا :

ـ انا الآن مستعد تماما للطيران الى اسكتلندا ! !

ـ اذن فلنقابل هتلر سويا الآن .



اتصلت (بألبرت بورمان) سكرتير هتلر الخاص .. وطلبت منه تحديد موعد عاجل بعد ساعة واحدة على الاكثر .. لأمر هام وعاجل وحيوى .. فتم لنا ما أردنا .

ـ لماذا تريد أن ترانى بهذه السرعة يارودلف ؟

(هكذا بدأ هتلر الحديث .. وكان متجهما للغاية)

وهنا قال البروفيسور هوشوفير :

ـ نريد أن نسأل هل ما زلت موافقا على اننا ينبغى ان نصل الى صلح او اتفاق مع بريطانيا قبل الهجوم على روسيا ؟

ـ بل انى أود ذلك .

(وأنا اعتبر مجرد هذا الرد سرا خطيرا من اسرار الحرب العالمية الثانية يذاع لأول مرة) .. ثم أردف هتلر قائلا :

ـ ولكنى أرى خطورة فى ارسال شخص كبير يتحدث باسمى الى لندن .

ـ ان بريطانيا ستلجأ الى العقل عندما ترى رجلا يمثل الدولة الألمانية كلها فى قلب لندن .. ان رجلا يستطيع أن يتحدث بلسان الفوهرر يذهب بنفسه الى العاصمة البريطانية الآن شىء مذهل بالنسبة للعدو .. وسوف تقابل بريطانيا هذا الرجل بما يستحقه من تقدير جاد ..

(هكذا قال هوشوفير محاولا اقناع تلميذه القديم الدكتاتور هتلر) ..

وسكت هتلر فترة .. ثم قام ومشى فى حجرة مكتبه الواسعة جدا ، الفاخرة جدا .. ثم قال :

ـ وهل هناك رجل تطمئن بريطانيا الى انه يمثل شخصى تماما ؟

فاجبته بسرعة : نعم

فقطب هتلر جبينه وسأل فى حدة :

ـ من يكون ؟

فقلت : انا ! ! ..

ورفع هتلر عينيه .. وركزهما فى عينى .. بعد أن قطب جبينه أكثر واكثر .. فقلت له :

ـ انا معروف جيدا لدى البريطانيين ..

وسكت هتلر فترة .. وهو جالس فى مقعده الوثير .. واخذ ينظر الى الأرض .. ثم قال :

ـ وكيف ستسافر يا رودلف الى لندن وسط هذه الغارات ؟

ـ ساسافر الى اسكتلندا حيث أقابل دوق هاملتون كما اتفقنا .. ودوق هاملتون سيمهد لى الطريق .

وبان التردد على هتلر .. ان الخطة معقولة جدا .. ولكنها لا تخلو من المخاطرة فى نظره .. فماذا لو رفضت بريطانيا العرض .. هكذا قال هتلر معبرا عن أفكاره :

ـ وماذا لو (ركل) تشرشل عرضا للصلح من جانب هتلر ؟.. ماذا سيكون الموقف ؟

وكنت مستعدا لهذا الاحتمال البعيد جدا ، فقلت لهتلر .. وهذا الكلام أيضا أقوله الآن للتاريخ :

ـ فى هذه الحالة المستبعدة الحدوث جدا يكون فى وسعك أن تعلن على الملأ انك لا تعلم شيئا عن نياتى وتستطيع أن تدمغنى بالخيانة .

وهنا رفع هتلر حاجبيه متعجبا .. وساد صمت رهيب !!

وقطع هذا الصمت وصول جورنج وروزنبرج .. وكنت في حيرة .. انهما الرجل رقم ٢ والرجل رقم ٤ في هذه الدولة .. فهل نواصل الحديث أم لا ؟ ؟ .. فقررت أن اترك هذا الأمر لهتلر نفسه .. ان هتلر يحمل فوق كتفيه الدولة كلها ومستقبلها ومصيرها لسنوات قادمة .. ثم بدا لي أن هتلر لا يريد أن يعرف أحد شيئا عن الموضوع حينما قال :

- بروفيسور هوشوفير .. هل لك في تناول الغداء معنا اليوم ؟ ؟

فرد هوشوفير في وقار :

- لا مانع ..



جلسنا جميعا حول مائدة الغداء .. هتلر وجورنج وروزنبرج وهوشوفير وأنا .. وتناولت (ايفا براون) صديقة هتلر الخاصة الغداء معنا ايضا .. وعندما وقف هتلر بطريقته العسكرية ، وقبل يد (ايفا براون) كان ذلك يعني عندنا جميعا ان مأدبة الغداء انتهت وعلى المدعوين ان ينصرفوا فورا .. وكنا جميعا قد كدنا نصل الى البوابة الخارجية لمبنى برجهوف) حينما استدعاني (البرت بورمان) سكرتير هتلر تليفونيا لكي نعود .. ان هتلر بدا له انه يريد أن يقول لنا شيئا ما .. وسألت الحارس للتأكد :

- هل يريدنا جميعا الآن ؟

- نعم

ورجعنا جميعا - جورنج وروزنبرج وهوشوفير وانا - الى مكتب هتلر .. حيث وجدناه يذرع الغرفة جيئة وذهابا .. ولكنه جلس الى مكتبه بمجرد دخولنا .. وبدا يعرض الموضوع بتركيز

شديد ووضوح كامل على كل من جورنج وروزنبرج .. وبعد بعض استفسارات اعلن جورنج موافقته على أن أسافر فورا .. وكانت دهشة هتلر شديدة عندما أعلن روزنبرج أيضا موافقته .. كان هتلر لا يتوقع موافقة روزنبرج قط .. فهو من غلاة الحرب ضد بريطانيا .. وهذا سر خطير جديد لا يعرفه أحد قبل الآن ..

وهنا فرك هتلر جبهته ، كأنه مقدم على شيء هام خطير .. ثم قال للبروفيسور هوشوفير :

ـ بروفيسور .. تكلم .. انك لم تتحدث بعد ؟

ـ لقد تحدثت سنوات

ـ وما رأيك الآن ؟

ـ قلته منذ سنوات .. لا حرب في جبهتين .. الجنس الواحد لا يحارب بعضه بعضا .. الجنس الآرى يجب أن يسود . ولقد رددت أنت ذلك في كتابك (كفاحي)

ثم قال هتلر في صيغة الرجل المقدم على عمل هام .. ولكنه ينذر كل الموجودين من عواقب هذا العمل .. قال متسائلا :

ـ اذن نحن جميعا متفقون ؟ !

فصمت الجميع .. وهنا وقف هتلر .. لكي ننصرف جميعا .

وبدأت استعد رسميا .. وبطريقة علنية لأغرب رحلة في التاريخ ..

أمر كتابي من هتلر لقائد السلاح الجوى (أرنست يوديت) بالسماح لي بالتدريب والطيران .. وقمت بثلاثين رحلة تدريب جوية كل منها لمدة ساعتين .

تعليمات للبروفيسور (فيلي مسر شميدت) أن يثبت خزانين للوقود اضافيين للطائرة .. مع خزان ثالث احتياطي تحت جناح

الطائرة .. واضافة راديو له حساسية غير عادية للاتصال ببرلين طول الرحلة

وبعد يومين .. قال لى البروفيسور هوشوفير :

ـ رودلف .. ما زلت تلميذا بليدا ! !

فضحكت كثيرا وسألته : لماذا ؟؟ .. فقال :

ـ فاتك شيء هام .. هل تعلمت اشارات اللاسلكي ؟

وكان معه حق .. فتلقيت دروسا فى اللاسلكى واشاراته .. ولكن بقى أن أعرف التعليمات .. هل سأقول للمطارات المعادية شيئا عندما اقترب منها ؟ .. وجاءت التعليمات كالآتى :

« ادخل من جهة انيفرنيس شمال اسكتلندا حيث لن تجد مدفعا واحدا يسقطك .. ولكن حذار أن تجيب على « أية اشارة .. طائرتك المانية .. أذن هى طائرة معادية .. ولن تفيدك أى اشارات سلمية اذا كانوا يملكون القوة للبطش بك .. ولكن هذه الاشارات ستكون عاملا ضدك فى المستقبل » ..



وفى يوم ٢ مايو ١٩٤١

قررت أن اقابل استاذى هوشوفير لاعقد معه جلسة دراسة سياسية طويلة ..

وبعد اربع ساعات من الحوار الفكرى والسياسى .. اتصلت بهتلر بالتليفون من عند هوشوفير فى رقمه السرى الخاص .. وقلت لهتلر بالحرف الواحد :

ـ انا الآن مستعد تماما .. مستعد سياسيا وفكريا وطيرانا .. فهل أطير الليلة ؟؟

لم يرد هتلر فورا .. وبعد هنيهة قال كلمة واحدة :

ـ نعم !!

وكان هـذا بمثابة الأمر ، فـذهبت فـورا الى المطار ، وفي صحبتي مساعدى كابتن (كارلهنز بيننتش) .. وعند سلم الطائرة .. اخرجت من حافظة أوراقي خطابين ، أحدهما موجه الى هتلر ، والآخر لمساعدى ، وقلت له :

ـ انتظرني هنـا .. فان لم اعد بعـد ٤ سـاعات .. افتح الخطاب الموجه باسمك ، وسلم الآخر بنفسك اما الى الفوهرر أو الى البرت بورمان سكرتيره الخاص .

وصعدت الى كابينة القيادة .. وارتديت ملابس الطيران داخل الطائرة .. بعد ان وضعت كل ما اريد من أوراق في صدرى بين الفانلة والبدلة وحلقت في الجو .. ومرت ساعتان ونصف ساعة عندما تأكدت أن الرؤية متعذرة جدا في هـذه الليلة ، والطقس غير مناسب بالمرة ، فقفلت راجعا بأقصى سرعة ..

.. وكان مساعدى (بيننتش) قد انتظرني جالسا في مؤخرة سيارتي المرسيدس الخاصة على حين ان السائق ورجل البوليس كانا يجلسان في الامام ، وسط ارض المطار لمدة ٤ ساعات ونصف ساعة ، فقفلوا راجعين ، ولكنهم في الطريق سمعوا أزيز الطائرة .. فعادوا مسرعين ..

.. وعند باب الطائرة رايت مساعدى (بيننتش) لأول مرة في حياته يخرج عن طوره في الحديث معي .. ويقول لي :

ـ ماذا كنت ستفعل ؟؟ .. لقد قرات خطابك على ضـوء مصباح السيارة الأمامي ، ولا اكاد اصدق نفسي .

ـ تعال **معي الى المنزل .. لي حديث طويل معك !**

وفي الطريق فوجئت .. بل فجعت .. حينما علمت ان خطابي هذا قراه ايضا كل من السائق والحارس ! !

وهنا قلت لمساعدى :

ـ هل هكذا يكون التصرف أيها الاحمق الأبله !! ؟



رفض قائد سلاح الطيران الالمانى « أرنست يوديت » السماح لى بالتمرين على ركوب الطائرات الا باذن (كتابى) من هتلر .. فاستعنت بصديقى (فيلى مسرشميدت) صاحب مصانع طائرات (شميدت) .. وتمرنت عنده على الطيران .

الفصـــل الثـــالث

... ثم ســافرت فعــلاً

.. لم انم طول الليل .. لقد فشلت الليلة فى محاولتى الأولى للســـفر الى بريطانيـــا .. وكانت ليلة الثـــانى من شـــهر مايـــو عام ١٩٤١ ..

وبمجرد ان دخلت المنزل اتصلت تليفونيا باستاذى هوشوفير .. واخبرته بما حدث .. حالة الطقس لم تسمح لى باســـتكمال الرحلة .. فقال لى مازحا :

ــ ألم أقل لك انك تلميذ بليد ؟؟ .. دائما تفوتك اشياء صغيرة ولكنها حيوية .. لماذا لم تسال عن الجو قبل القيام بهـذه الرحلة الخطيرة .. يا سيد رودلف ؟؟

ثم اتفقنا على لقاء آخر فى المساء !

وبعد ذلك بدأت أخلع ملابسى ، ولكنى تذكرت فجأة أن هتلر يجب أن يعلم فورا بأنى عدت .. وكنت قد خلعت نصف ملابسى فقط .. الجاكتة والبنطلون والحذاء الطويل ، ولا يستر جســمى سوى القميص والملابس الداخلية فقط .. وذلك حينما هرولت الى التليفون لاتصــل بهتلر فى رقمه السرى .. فلم يرد .. انه ليس بمكتبـه ولا على سريره ! .. فاتصلت بســكرتيره الخــاص (البرت بورمان) الذى صرخ عندما سمع صوتى وقال :

ــ مش معقول !!

فسألته أين الفوهرر ؟؟

ـ لقد آثر الراحة التامة اليوم .. وسافر خارج برلين .. الى ميونيخ ..

ـ هلا تتصل به .. وتخبره بعودتي !؟؟

ـ سيحدث .. قطعا .



وتذكرت مبنى « برجهوف » الذي يقيم فيه هتلر .. انه مبنى رهيب .. سور ضخم مثل أسوار السجون العتيقة عليه حرس شديد .. السور يضم عدة منازل ومخابىء ومخازن وجراجات تحت الأرض .. يقيم هتلر فى المبنى الرئيسى مع (ايفا براون) صديقته .. وبقية المنازل للسكرتارية والأعمال الأخرى الخاصة بهتلر .. قليلون جدا يسمح لهم بالولوج من الباب الرئيسى .. وانه لشرف عظيم لأى مواطن أن يسمح له بالدخول .. على أن المكوث فى المبنى لم يكن أمرا يدعو للبهجة .. فقد كانت اجراءات الأمن فيه ليست عادية بالنسبة للضيوف .. فضلا عن طبيعة هتلر نفسه .. انه لا يحفل كثيرا بهم !

وتذكرت أن هتلر اراد أن يقضى يوما هادئا فى قصره الكبير فى ميونيخ .. بعيدا عن العمل ..

واكملت خلع ملابسى .. وارتديت البيجاما .. وذهبت الى حجرة نومى الخاصة .. ولكنى قفزت من مخدعى على اثر خاطر ورد على ذهنى ازعجنى جدا .. لقد علم بهذه الرحلة الخطيرة ثلاثة آخرون بينهم اثنان ليسا على مستوى المسئولية اطلاقا .. فقد أطلع مساعدى كابتن (بينتش) كلا من السائق والحارس على خطابى !! .. فقمت مذعورا .. واتصلت بمساعدى (بينتش) تليفونيا ، وطلبت منه أن يجىء فورا ومعه السائق والحارس ..

ـ هل ممكن ان نرجىء ذلك الى الصباح سيدى .. فانا مرهق جدا .. ؟ هكذا قال (بينتش) فصرخت فيه آمرا :

ـ ابدا .. لقد خاصمني النوم منـذ عرفت ان هـؤلاء عرفوا خطتنا السرية .. احضروا فورا !

ـ سمعا وطاعة !

وبدات أفكر .. لا بد من معالجة الموضوع مع هؤلاء بحـكمة بالغة .. لو كانوا مخلصين حقيقة ممكن شرح الموضوع لهم ، مع بيان مدى خطورته ، ثم وضعهم على مستوى المسئولية .. ولو كان هناك ادنى شك صغير فى اخلاصهم للـدولة النازية فلا بـد من اعدامهم فورا .. وبسرية تامة .. وبمنتهى السرعة !

وفى صالون منزلى بالدور السفلى .. اجتمعت بهم ، وشرحت لهم الموضوع كاملا .. فشعرت بانهم فخورون بى .. رجل فى مثل سنى ومركزى يتحمل مسـئولية قيـادة طائرة فى هـذه المرحلة الخطيرة .. ثم الهبوط بالبراشوت على ارض العدو .. انه لشيء يدعو للفخر والاعتزاز أن يعملوا مع مثل هذا الرجل المخلص للدولة النازية .. هكذا قالوا .. قالوها بأخـلاص حقيقى .. بل كادوا يعانقوننى من شدة اعجابهم بى .. ومع ذلك لم اتركهم الا بعد ان اقسموا على كتمان السر !! .. لقد اقسموا جميعا بشرف الدولة الالمانية على كتمان السر !!



حتى كان يوم ١٠ مايو ١٩٤١ .

حينما جاءت تنبؤات الارصاد الجـوية تؤكد أن الجـو ملائم للقيام برحلة ناجحة .

وفى الصـباح الباكر من ذلك اليـوم اتصلت بمسـاعدى (بينتش) وأيقظته من فراشه لأقول له ..

ـ صباح الخير يا بينتش .. اليوم موعدنا .. ساطير فى السادسة مساء .. هل تحضر فورا ؟

ـ سمعا وطاعة .

وعندما جاء بينتش الى المنزل قلت له :

ــ لن اذهب الى المكتب اليوم .. ولن اغادر البيت .. وعليك ان تمكث بمكتبى بالدور السفلى لتتلقى اى محادثات من الخارج ..

ولبست بدلة رمادية مدنية .. وقمت بجولة على قدمى فى الحديقة الواسعة المحيطة بمنزلى .. وحمت حول حمام السباحة .. كانت الساعة لا تزال السادسة والنصف صباحا .. وبدات افكر فى ان اقضى كل اليوم مع زوجتى وابنى .. ثم عدت الى المنزل ..

كانت (الزى) زوجتى فى حجرة نومها تقرأ كتابا عندما دخلت عليها اسالها :

ــ ماذا تقراين يا (الزى) ؟ ؟

ــ كتاب ((طيار فوق قمة ايفرست)) .. وهو سرد لأول رحلة طيران فوق قمة ايفرست قام بها الدوق هاملتون ..

فقلت لنفسى :

ــ يا لسخرية القدر .. انها مفارقات تصلح موضوعا للسينما .. زوجتى تقرأ فى هذا اليوم بالذات كتابا عن مغامرة فى الطيران .. ومن يقوم بها ؟ .. انه الدوق هاملتون الذى ساسافر الليلة لاهبط بجوار قصره لاقابله فى اخطر لقاء سياسى عالمى فى العصر الحديث ..

.. وامسكت بالكتاب بعد ان أطبق الصمت على فمى .. وقلبت صفحاته .. واخذت احدق طويلا فى صورة الدوق !!



وعند الظهر جاءنى تليفون من البوابة الرئيسية لبيتى يخبرنى ان روزنبرج نائب هتلر الثالث واستاذ الايديولوجية الاشتراكية

الوطنية لالمانيا النازية وصل الآن .. ودخل بسيارته .. وهو فى طريقه الى حجرة الضيوف .

ونزلت فورا لاستقباله ..

ـ هاى رودلف

هكذا هتف بى روزنبرج حينما رآنى

ـ هاى .. هل من تعليمات جديدة ؟

هكذا سألته ملهوفا .. ولكنه قال :

ـ أبدا .. لقد أرسلنى الفوهرر لكى ندرس معا بعض نقاط الموضوع قبل ان تطير .

وجلسنا ساعة كاملة .. وقلت له وأنا أودعه :

ـ سأتصل بالفوهرر قبيل رحيلى فى رقمه السرى على أى حال ..

ـ لا داعي لذلك اطلاقا .. سافر انت ..



وتناولت طعام الغداء مع زوجتى « الزى » وابنى « ولف روديجر » .. ثم ذهبت (الزى) الى حجرة نومها ، ونزل ابنى (٤ سنوات) الى الحديقة ليلعب ، ودخلت حجرة المكتب ، لاكتب رسالتين :

رسالة لزوجتى ، والأخرى لهتلر مرة أخرى .. شرحت فى الرسالة الاولى كل شيء لزوجتى .. شرحت لها كل الموضوع بكافة تفاصيله واحتمالاته .. أما الرسالة الأخرى فكانت لهتلر ، أطلب منه : بل أرجوه أن يعتبرنى مجنونا خائنا ان فشلت فى مهمتى وان أغضب من ذلك .. لاننا بعد ذلك سنلتقى حتما عندما تغزو الجيوش الالمانية المنتصرة .. لندن !!

ثم فكرت اين اضع هاتين الرسالتين ؟

قررت أن أضعهما في الخزانة الحديدية .. حيث بقية حاجياتي ونقودي ومتعلقاتي التي يجب أن أتركها كلها لزوجتي (الزى) .. وابني الصغير ..

اذن .. اين اضع مفتاح الخزانة ؟

أريد أن أضعه في مكان تعرفه زوجتي ، لكي تتسلم الرسالتين وبقية متعلقاتي .. اذا لم أعد .. بسرعة !!

واخيرا اهتديت الى فكرة !

أخذت الدبابة الصغيرة التي يلهو بها ابني (ولف روديجر) من حجرة نومه ، ووضعت المفتاح فيها .. ووضعت الدبابة على مكتبي .. فاذا ما افتقد الابن الدبابة وبحثت الأم عنها وجدتها في حجرة مكتبي ، وتعثر بالتالي على المفتاح .. أو ربما تسمع أخباري ، وتدخل مكتبي بدافع حب الاستطلاع ، فتجد الدبابة الصغيرة على المكتب فتتعجب من وجودها في هذا المكان ، وتمسك بها ، فتعثر بالتالي على المفتاح .. !

**** والآن .. في عام ١٩٧٠ .. اقول انني لم اندم علي شيء عندما تحول بيتي الكبير الي انقاض تحت وابل قنابل الحلفاء .. الا لضياع هاتين الرسالتين التاريخيتين ! .. أنا لست مجنونا ولا خائنا !! .. أنا الذى « رجوت » هتلر أن يعتبرني كذلك .. من اجل بلادي .. المانيا !!**

والآن الساعة الخامسة بعد الظهر .. لابد من الرحيل فورا .. السيارة مستعدة أمام باب المنزل الداخلي وبها مساعدي (بنيتش) .

ارتديت ملابسي بسرعة .. ومررت على حجرة نوم (الزى) زوجتي .. وايقظتها لأقول لها :

ـ الزى .. لقد تلقيت مكالمة تليفونية عاجلة الآن .. ساسافر خارج برلين فورا ..

- متى ستعود ؟؟

- من يدرى ؟

وقبلت زوجتى لاقول لها :

- الى اللقاء يا الزى

وبينما كنت أهم بركوب السيارة ، سمعت صوت ابنى الصغير (٤ سنوات) يلهو فى الحديقة .. فتوقفت ، وطلبت استدعاءه فورا .. وحملته .. وقبلته .. وقلت له :

- الى اللقاء ..

- الى اين يابابا ؟؟

- ساسافر اليوم

- متى ستعود ؟

- قريبا ..

** وكانت هذه آخر مرة أراه فيها .. لم اره - منذ ذلك التاريخ : الساعة الخامسة مساء يوم ١٠ مايو ١٩٤١ - الا فى الساعة العاشرة صباح يوم ٥ يناير ١٩٧٠ .. بعد ٢٩ عاما !!

واخترقت السيارة طريق (أوتوباهى) الى المطار حيث كان فى استقبالى مدير المطار (هربيهى) .. وفتح المدير الطريق الموصل الى باب الطائرة مباشرة .. وسارت السيارة الى أن وقفت تقريبا تحت جناح الطائرة الرمادية الفضية البريق .. كانت الطائرة تبدو رشيقة انيقة .. ولكن أصغر من أن تستطيع القيام برحلة خطيرة لها تاريخ ..

وادى لى (هربيهى) التحية العسكرية .. ليقول لى :

- كل شىء تمام .. الآن !

فشكرته بتحية عسكرية أخرى .. وركبت الطائرة وانسحبت السيارة بعيدا من الطائرة بعد أن ادرت محركات الطائرة ...

وبدات الطائرة تخلع عجلاتها من فوق الأرض الالمانية ..
وكانت آخر مرة تلمس فيها هذه الارض .. للأبد !!

وكان على ان اشق طريقى شمالا عبر اراضى المانيا ، ثم هولندا ثم بحر الشمال .. حتى جزيرة (هولى ايلاند) ..

كانت السماء صافية تبدو جميلة مبتسمة .. وكنت استطيع ان ارى خط الزبد الأبيض الناجم عن ارتطام الموج بالشاطىء البريطانى ..

وسرحت أكثر من مرة .. وانا احلم .. ترى هل سانجح فى مهمتى ؟ .. هل ستصبح المانيا وبريطانيا حليفتين لنهاجم سويا روسيا ونقضى عليها ؟ .. هل سينتصر الجنس الآرى ويسود العالم كله كما تعلمنا فى الكتب ونحن شباب ؟!

ومن آن لآخر كنت اتتبع خط السير المحدد لى لكى اصل الى « دونجافل هاوس » حيث يقطن دوق هاملتون ..

آه .. ها انا الآن قد وصلت فعلا فوق « دونجافل هاوس » .. ونزلت بالطائرة فى طيران منخفض للغاية .. ولكنى لم اتبين مطارا استطيع الهبوط فيه .. فقررت فى لحظة جنون أن أقفز بالبراشوت .. ورغم انى لم استخدم البراشوت فى حياتى الا انه كان الحل الوحيد أمامى ..

وهبطت بالبراشوت لأول مرة فى حياتى .. وتركت الطائرة وحدها بلا قائد تتخبط فى الجو بعيدا عنى .. وكانت تنتظرنى مفاجأة .. المظلة لم تنفتح كلها فارتطمت ركبتى بالأرض ، وشعرت بألم حاد فى قدمى اليمنى !!

ولم استطع ان انهض من مكانى فورا .. ولكن ما هى الا نصف دقيقة حتى امتدت الى يد قوية تساعدنى على القيام .. كانت يد المزارع « دافيد ماكلين » قائد الجرارات فى المزرعة التى هبطت فيها ..



كانت طائرتي تبدو جميلة رشيقة أنيقة .. كانت رمادية اللون لها بريق .. ولكنها أصغر من أن تستطيع القيام برحلة خطيرة لها تاريخ ..



وقضيت يوم ١٠ مايو كله مع زوجتى (الزى) وابنى الصغير (ولف) الذى قال لى : متى ستعود يا بابا .. فقلت له : قريبا .. ولم اره منذ ١٠ مايو ١٩٤١ الا فى يناير ١٩٧٠ !!

الفصـــل الرابع

وصلت إلى بريطانيـــا

وصلت الى بريطانيا .. على ما ذكرت فى الفصل الأول .. وظللت انتقل من سجن الى سجن .. حتى نزلت فى مستشفى ملحق بسجن مارى هيل .. وسالونى عن اسمى ، فقلت :

ـ هوفمـان هورن .. ضـابط المـانى .. يريد ان يقـابل دوق هاملتون بشان امر هام جدا .. جدا ..

وكانت الخطة الا اذكر اسمى .. لمن سيقـابلونى أولا من الضباط أو الجنود .. على ان اكشف عن شخصيتى أمام دوق هاملتون فقط .. اذ ان من الخطورة بمكان أن يعرف جندى غير مسئول أو حتى ضابط صغير أن هذا الاسير الأعزل من السلاح الذى امامه هو الرجل رقم « ٣ » فى العالم كله !! .. فربما تهور وضغط على زناد مسدسه !

ـ المهم هو علاج ساقك أولا ..

هكذا قال لى مامور السجن

ـ ان الامر اهم من ساقى .. ما عندى من كلام على جانب كبير من الخطورة ، ويهم الدوق هاملتون ان يعرفه شخصيا وباقصى سرعة .. ارجوك ان .. اتصل به فورا .. اما ساقى فامرها ميسور فيما بعد

وبعنجهية الامبراطورية البريطانية « شخط » الضابط وصاح في وجهي :

ـ صه .. ايها الضابط الأسير .. ما بالك ؟ .. انت هنا تؤمر لتطيع فقط .. ليس لك أن تتحدث معنا بهذه الطريقة .

ونكرت هنيهة .. ماذا افعل مع هذا الضابط المتعجرف الذي يلعب بالنار ؟ .. ان الدقائق محسوبة .. ان هتلر ينتظر الآن دقيقة بدقيقة ما ستصدره بريطانيا من بيانات عني .. ومن هذه البيانات سيعرف مصير رحلتي ويتصرف بسرعة .. ان الرايخ الالماني على اعلى مستوياته مجتمع الآن مرهف السمع .. وهذا الضابط الابله يتحكم في مصير البشرية كلها دون أن يدرى !! .. ماذا افعل الآن ؟ .. لقد تذكرت ما كان قد قاله لي استاذي هوشوفير ان الكذب الأبيض في الدبلوماسية مباح من اجل الصالح العام .. وهنا قلت للمأمور المتعجرف :

ـ ان دوق هاملتون في انتظاري الآن .. وهو يريد ان يعرف أن ضابطا المانيا اسمه هوفمان هورن جاء من المانيا خصيصا لمقابلته فورا .. وارجو لكيلا يصيبك سوء في المستقبل ان تقوم بهذا التبليغ بسرعة .. هذا من أجلك انت أولا ..

والآن تعال معي .. لنر سويا كيف وصل الأمر الى دوق هاملتون .. وماذا فعل ؟؟



كان دوق هاملتون من اكثر الناس اهتماما بالطائرة الالمانية التي جاءت الى اسكتلندا ، نظرا لطيرانها المنخفض المفاجيء فوق « دونجافل هاوس » حيث قصره .. وكان الدوق في هذه الليلة بالذات مرهقا للغاية .. وما ان جاءه النبا « السعيد » !! بان الطائرة سقطت واشتعلت فيها النيران حتى هدأت نفسه ، وراح في نوم عميق .. ولكن لم يستمر النوم سوى ساعات قليلة ، حينما جاء تليفون عاجل يقول له !

ـ هل تسمحون سيدى الدوق بالحضور فورا الى سجن مارى هيل ؟؟ .. ان لدينا نبأ هاما يجب أن تعرفه فورا ..

وتعجب الدوق .. نبأ هام فى سجن !! ؟؟ .. وفى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟؟ .. اى نبأ يكون ؟ .. وكان الدوق قد نسى حكاية الطائرة تماما . وما ان دخل السجن حتى قيل له :

ـ انالطائرة التى كانت تحوم حول قصرك كان بها شخص المانى يدعى ((هوفمان هورن)) يقول انه طيار وانه يريد ان يتحدث معك فى أمر عاجل وخطير .

ولم يستطع الدوق هاملتون أن يتصور أى موضوع هام يمكن لطيار المانى أن يناقشه معه .. فى هذه الساعة المتأخرة من الليل !! .



وعندما دخل الدوق حجرتى تعرفت عليه فورا من صورته التى رأيتها فى كتاب « طيار فوق قمة ايفرست » الذى كانت تقرؤه زوجتى « الزى » فى صباح يوم سفرى .. فقلت له :

ـ مرحبا بالدوق هاملتون

فسألنى الدوق باستغراب :

ـ هل تعرفنى أيها الطيار ؟

ـ نعم بكل تأكيد .. وأنت تعرفنى أنا أيضا

فتفرس الدوق فى وجهى ، وقال لى :

ـ يبدو أن ذاكرتى ضعفت .. وجهك ليس غريبا .. ولكنى غير متأكد تماما من اسم هوفمان هورن .

ـ يجب أن أتحدث معك على انفراد .. انها مسألة بالغة الخطورة .

فنظر الدوق خلفه ، نظرة كفيلة بان ينسحب على أثرها فورا ياوره الخاص ومأمور السجن .. وأمر الدوق الياور بأن يغلق الباب خلفه ، ولا يسمح لأحد بالدخول .. والا يبتعد كثيرا عن الباب .. ثم نظر الى .. وقال :

ـ تستطيع أن تتحدث الآن كما تريد ..

ـ انا وزير الرايخ الالمانى رودلف هيس

هكذا بادرته .. فليس هناك وقت لتضييعه اكثر من هذا . وذهل الدوق .. واتسعت حدقتا عينيه .. وبعد أن حملق فى وجهى لحظة ، قام من مكانه ، وقال لى هاتفا :

ـ حقيقة أنت شديد الشبه برودلف هيس .. ولكنك تقول ان اسمك هوفمان هورن .

فشرحت له السبب .. ثم اطلعته على جواز سفرى .. وعندما أمسك الدوق بجواز سفرى كاد أن يغمى عليه .. ثم قال لى :

ـ أيها الضابط الأسير .. اننى أكاد أصدق الآن انك رودلف هيس .. ، وهذا أمر بالغ الخطورة والأهمية .. لذا اريد اثباتا اكثر من مجرد جواز سفر ممكن تزويره .

ـ ايها الدوق .. ان مئات المسئولين عندكم يعرفوننى جيدا . فهذا ليس بالأمر الخطير .. ويجب الا نضيع وقتنا فى هذه النقطة .. أنا أريد أن اشرح لك لماذا جئت الى هنا لكى انهى مهمتى بسرعة . وأعود الى بلدى !!

وبدأت اتحدث معه عن شخصية هتلر وابعادها المختلفة !! .. وسبب الحرب .. و .. و .. ولم أصل بعد لصلب الموضوع حينما قاطعنى الدوق قائلا :

ـ يستحسن أن أستعين بمترجم .. فيبدو لى أن لغتك الانجليزية لا تساعدك على ما تريد أن تقوله .

فصرخت فيه قائلا :

ـ ابدا .. ليس الآن .. اذا كان لابد من مترجم رسمى .. فعندما اجتمع بالساسة البريطانيين

وهنا سألنى الدوق :

ـ هل تناولت عشاءك ؟

ـ ابدا ..

ـ كل شيء سيكون على ما يرام الآن .

وهم الدوق بالانصراف ، ولكنى صرخت فيه قائلا :

ـ ايها الدوق .. انك لم تعرف لماذا جئت انا الى هنا .. انا جئت الى هنا ومعى « شروط السلام مع بريطانيا » !!

اوقفت هذه الكلمات الدوق فى مكانه .. وسمرت قدميه فترة .. واصيبت كل اعضائه بالشلل المؤقت فتوقف تماما عن الحركة من شدة ذهول المفاجأة .. وبعد فترة تحرك الدوق .. وخرج من الحجرة .. وامر بنقلى فورا الى جلاسجو لأن « هذا الاسير على جانب كبير من الاهمية » .. وذلك بعد أن يتناول عشاءه .. وتقدم له فورا كل طلباته من المشروبات ..



ونزل الدوق وذهب مسرعا بسيارته الى قاعدة« تيرن هاوس » باسكتلندا .. حيث استقل طائرته الخاصة ماركة « الهاريكين » وسافر الى قاعدة « مورثولت » الجوية بالقرب من لندن .. وحاول الاتصال تليفونيا بمقر ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى .. فوجده قد سافر مساء السبت ليقضى يوم الأحد كله .. فى قصره الريفى فى « ديتشلى بارك » .. فقال الدوق هاملتون لسكرتير تشرشل الخاص .

ـ ساطير فورا الى هناك .. وارجوك ان تتصل به الآن لتبلغه اننى اريد مقابلته فور وصولى ..

كانت الساعة قرب فجر الأحد .. فدهش السكرتير ونصحه بأن ينتظر حتى الصباح ، لأن رئيس الوزراء سينام الليلة ، ولا يمكن ايقاظه اطلاقا .. الا فى حالة واحدة فقط .. هى حالة حدوث غزو برى لبريطانيا ! !

كانت هذه هى تعليمات تشرشل شخصيا لسكرتيره .. فحاول الدوق أن يقنع السكرتير بأن الموضوع لا يقل اهمية عن الغزو البرى !! ولكن دون جدوى !

وسافر الدوق فى الصباح - أى بعد ساعات قليلة - الى مطار قريب من (ديتشلى بارك) حيث وجد سيارة سوداء (رولزرويس) فخمة فى انتظاره .. انها سيارة تشرشل الشخصية .. وعندما وصل الدوق الى قصر تشرشل الريفى ، وجده جالسا فى شرفة القصر الخارجية .. وما أن تقدمت السيارة نحو السلم العريض المؤدى الى الشرفة حتى نزل تشرشل ، واستقبل ضيفه عند باب السيارة قائلا :

- مرحبا ايها الدوق الشاب .. ما سر حماستك ليلة أمس .. لقد ابلغنى السكرتير منذ ساعتين انك متلهف لمقابلتى لأمر هام وخطير .

- سيدى رئيس الوزراء .. الأمر اخطر من أن اتحدث معك بشأنه امام هؤلاء وكان فى الشرفة وفى الحديقة وعلى سلم القصر أناس كثيرون .

فتأبط تشرشل ذراع ضيفه الدوق .. وصعدا سويا الى غرفة المكتب .. وكان هناك سير (ارشيبالد سنكلير) وزير الطيران البريطانى .. فالتفت تشرشل الى الدوق .. وقال متسائلا :

- يبدو أن لا ضرر من وجود الوزير ؟

فقال الدوق : طبعا ... طبعا .

ثم روى الدوق القصة كاملة .. طائرة تحوم حول قصره فى (دونجافل هاوس) .. ثم هبوط قائدها ، وزعمه انه ضابط المانى يدعى هوفمان هورن ، واصراره على مقابلة الدوق .. ثم ما كان من حديث مع هذا الضابط الذى بداه بانه هــو وزير الرايخ الألمانى رودلف هيس ، وما قاله بعد ذلك من كلام كثير .. انهاه بعبارته المشهورة « انا أحمل شروط السلام مع بريطانيا » !!

وساد الصمت فترة ليست بالقصيرة .. وتبادل تشرشـل ووزير الطيران نظرتين معبرتين ، أدرك الدوق منهما كم تبـدو روايته بعيدة عن التصديق .

وفجأة قطع تشرشل الصمت قائلا :

ــ أنا ذاهب الآن .. لمشاهدة اخوان ماركس !

ومرت دقائق قبل أن يدرك الدوق ان رئيس الوزراء لـم يكن يقصد السخرية منه .. بل ان تشرشل وهتلر ، وهما يعملان بأقصى جهد ، يحمل كل منهما فوق كتفيه مصير دولة ، بـل مصير العالم كله لسنوات عديدة .. لو لم يكن كل من الرجلين متمسكا بأن يمنح نفسه يوم راحة فى الأسـبوع ، لقصـم ظهـره من فرط الاجهاد .. فمثلا فى يوم ٢ مايو ١٩٤١ .. عنـدما سافرت أول مرة الى اسكتلندا ، ولم أستطع تكملة الرحلة وعدت ، كان هتلر قد منح نفسه اجازة لمدة ٢٤ ساعة يقضيها مع صديقته (ايفا براون) بعيدا عن مكان السلطة !!

وتأبط تشرشل ذراع الدوق ، ودعاه لمشاهدة فيلم اخـوان ماركس .. وبعد انتهاء الفيلم بدأ تشرشل موفور الحيوية متجدد النشاط .. ودعا الدوق الى الغداء مع وزير الطيـران .. وظل يستجوبه لمدة ساعة كاملة .. حتى سأله :

ــ ولكن هل انت واثق مائة فى المائة من ان هذا الرجل هــو رودلف هيس ؟

ـ اعتقد .. فقد ذكر لى اسم البروفيسور كارل هوشوفير . وهو صديقى واستاذى .. ولا اعتقد ان احدا غير هيس ومن فى مستواه يمكن أن يعرف هذا الرجل .

واسترخى تشرشل فى مقعده الوثير .. وبعد أن نفث عدة دفعات من سيجاره الضخم قال عبارته التاريخية المشهورة :

ـ الدودة فى البرعم !!!

ثم وقف ومشى الى نهاية الغرفة .. ونظر من خلال النافذة فى المروج الخضراء الممتدة حول قصره الريفى . وقال :

ـ اذا كان الطيار الالمانى هو هيس حقيقة .. فأول خطوة هى التأكد من شخصيته .. ثم التعرف علي وجهة نظره كاملة .. علي أن يتم ذلك في اقصى سرعة ممكنة .

وتناول تشرشل التليفون .. وطلب وزير خارجيته أنتونى ايدن .. وظل يتحدث معه ربع ساعة كاملة .. وختم كلامه معه بقوله :

ـ اذا كان هذا الطيار هو هيس فعلا .. فربما يكون قد اختلف مع هتلر وجاء هاربا .. الموضوع يجب دراسته بمنتهى الدقة .. وعليك الاتصال بسير الكسندر كادوجان فهو يعرف هيس شخصيا .. والدوق هاملتون الآن في طريقه اليك .



وكان ايدن قد عرض على تشرشل أن يهرول اليه فى منزله الريفى ، ليبحث معه الموضوع شخصيا بدلا من التليفون .. ولكن تشرشل ، وقد بدا عليه الاهتمام الشديد رفض عرض ايدن بشدة وقال له :

ـ نحن فى حاجة الى حركة سريعة الآن ..

لذا استدعى ايدن على وجه السرعة الكسندر كادوجان ، وروى له تفاصيل الموضوع ، فاتصل كادوجان بدوره تليفونيا



عندما دخل على دوق هاملتون عرفته فورا من صورته المنشورة فى كتاب « طيار فوق قمة ايفرست » الذى كانت تقرؤه زوجتى صباح يوم سفرى .. فتعجب الدوق وسألنى : هل تعرفنى ؟.. فقلت له : وانت تعرفنى جيدا ايضا !

بشخص اسمه ايفون كير كباتريك بمقر الاذاعة البريطانية ، وكان كير كباتريك فى هذا الوقت يتولى منصب المدير العام للبرنامج الاوروبى .. ويجيد الالمانية تماما .. فقد كان يعمل سكرتيرا اول فى السفارة البريطانية فى المانيا منذ عام ١٩٣٣ حتى أول عام ١٩٣٩ ... وبالتالى يعتبر ايضا خبيرا فى مسائل النازى .. اكثر من هذا كله انه كان دائم الاتصال بى عندما كان معنا فى برلين بحكم عملى وزيرا للرايخ الالمانى . الوزير المسئول عن التوجيه السياسى الايديولوجى .

وصدرت التعليمات السريعة .. لاعداد طائرة تنقل الثلاثة :

الدوق هاملتون ، الكسندر كادوجان ، ايفون كيركباتريك

وكنت قد نقلت الى قلعة بوتشانان قرب جلاسجو طبقا لتعليمات الدوق .. حيث تمت مقابلتى التاريخية مع رسل تشرشل .

الفصل الخامس

لقائى مع رسل تشرشل

ــ أنا الآن فى قلعة بوتشانان قرب جلاسجو .. قلعة حربية لم تكن معدة لأن تكون سجنا فى يوم من الأيام ..

كانت الساعة العاشرة مساء حينما سمعت عند الباب حركة غير عادية .. وكلاما كثيرا .. ووقع اقدام تصعد السلم الحديدى المؤدى للغرفة !!

وفجاة فتح الباب ، ورايت كل المسئولين عن القلعة ومعهم الدوق هاملتون وشخصان آخران عرفتهما بمجرد وقوفهما تحت الضوء الخافت الذى يتوسط الحجرة .. أحدهما الكسندر كادوجان الذى قابلته مرارا فى اثناء عقد معاهدة ميونيخ مع تشمبرلين .. ثم هذا الصديق القديم الذى عاشرناه طويلا منذ قيام « الدولة الالمانية الاشتراكية الوطنية » بقيادة هتلر فى ٣٠ يناير ١٩٣٣ حتى يوم اعلان الحرب فى سبتمبر ١٩٣٩ .. أنه ايفون كيركباتريك .. وهتفت .. وهتف الكسندر وايفون كلنا هتف فى وقت واحد :

ــ مش معقول .. يالها من مفاجاة .

ولم يكن ذلك معقولا فعلا .. أنا وزير الرايخ الألمانى المنتصر .. ثالث رجل فى العالم !!! .. محبوس فى قلعة متهدمة اسمها بوتشانان .. داخل حجرة لها باب خشبى سميك وسقف مائل .. البس بيجاما رمادية من بيجامات الجيش البريطانى المصنوعة من

قماش الفانلة .. وأنام على سرير حديدى مغطى ببطانية من بطانيات الجيش البريطانى القاتمة اللون !

وقضى الكسندر وايفون لحظات ينظران لى بعين الدهشة ثم يجيلان البصر فى الغرفة .. كأنى بهما يقارنان بينها وبين قصرى الكبير فى المانيا المحاط بحديقة شاسعة فيها حمام سباحة وردى اللون ، وبوابة على شكل قوس النصر بباريس .. فى هذه البوابة حرس مدجج بالسلاح وتليفون ..

ومع ذلك كنت فى منتهى السعادة فى هذه اللحظة .. فاخيرا اخيرا .. وصل اثنان على مستوى المسئولية ، احدهما يجيد الالمانية .. لقد بدأت مهمتى فعلا .. لقد انتهت كل المتاعب الأولية المتوقعة من قبل حضورى .. وكنت أعلم مقدما اننى سأقضى يوما أو يومين على الأقل فى متاعب مع الجنود والضباط الصغار البعيدين عن مستوى المسئولية .. وكان كل من هوشوفين وروزنبرج يؤكدان لى ذلك أيضا .. وكان على ان ادفع ثمن المغامرة التى قمت بها من أجل انقاذ الجنس الآرى كله .

بل اننى كنت متوقعا متاعب أكثر مما لقيت .. ما دام اسمى هو « هوفمان هورن » الطيار الالمانى الاسير .. الى أن أجد اذرعا مفتوحة مرحبة عندما يتأكد البريطانيون أن اسمى هو « رودلف هيس » وزير الرايخ الالمانى .. وها قد وصل اثنان من كبار المسئولين البريطانيين يعرفان — على وجه القطع واليقين — شخصيتى .



ثم بدأ الحوار السياسى .. أو على الاصح والاكثر دقة .. بدأت مهمتى ..

لقد أوضحت بكل جلاء فى البداية — وكان هذا ضروريا فى نظرى — أوضحت حسن نيات الفوهرر ، واخلاصه للجنس الآرى .

وتكلمت عن تاريخ هتلر كله .. وكيف انني عرفت هذا التاريخ اكثر من اى شخص آخر فى هذا العالم .. بل ان كتاب « كفاحى » الذى الفه هتلر فى السجن معظم نقاطه من وضعى أنا .. ثم تكلمت عن علاقتنا باستاذنا كارل هوشوفير .. مستعينا بالدوق هاملتون الذى تتلمذ ايضا على يد هوشوفير .. واوضحت كيف أن المانيا وبريطانيا من جنس آرى واحد ، هذا الجنس الذى يجب ان يسود العالم كله .

واستمر عرضى الايديولوجى هذا لمدة ساعة كاملة ..

ويبدو لى أن زوارى الثلاثة لم يقتنعوا تماما بكلامى .. فقد كانوا يتبادلون النظرات بطريقة تؤكد انهم غير مصدقين ما اقول .

ولكنى واصلت بسط مهمتى باسهــــاب .. كما اتفقت مع هوشوفير وروزنبرج قبيل الرحيل .. فقدمت بعد ذلك عرضــا مطولا للعلاقات التاريخية بين المانيا وبريطانيا خلال الاربعين ســنة الماضية .. واكدت لهم « بطريقة عملية !!! » كيف ان حقوق شعب المانيا كانت باستمرار تمتهن بواسطة بريطانيا !

وكان من المقرر أن اتحدث فى هذه النقطة وحدها ٩٠ دقيقة . ولكننى فوجئت بايفون كيركباتريك يقاطعنى ويطلب منى فى حسم أن أجيب على سؤال محدد ! .. ولم اكن قد تعودت من ايفون هذه اللهجة من قبل ، فايفون كان حينما يتحدث معى فى المانيــا يبدأ عباراته بكلمات مهذبة ، فيها احترام ورجاء .. بل خشــوع وانحناء أيضا ! .. ولكنه اليوم ها هنا يقول لى بلهجة جافـــة غريبـــة :

ــ هر رودلف .. نحن لا نريد درسا فى العلوم السياسية ولا فى التاريخ .. نحن نريد منك باختصار شديد ان تجيبنا عــلى سؤال محدد .. هو : لماذا جئت الى هنا ؟

وكان من المستحيل على أن اجيب على هذا السؤال بمثل ما يريد .. انه حوار سياسى فيه عصارة افكار جيل بأسره .. انه عصير قراءات ودراسات دامت نحو نصف قرن !! .. ما هذا (الابله) البريطانى الذى يريد ان يحدد مصير العالم والبشرية على طريقة حوار السينما !! .

فلم اسأل عنه .. وواصلت سرد الكلام الذى اعددته من قبل .. وذاكرته مرارا بينى وبين نفسى .. ولكن (الابله) البريطانى عاد يقاطعنى ليقول :

ـ سيدى وزير الرايخ .. كلمات محددة نريدها ... ان كلامك هذا يصلح لاجتماع سياسى كبير او مؤتمر حزبى .. ولكننا الآن نريد منك باختصار شديد الاجابة على سؤال واحد مختصر هو : لماذا جئت الى هنا ؟

فقلت له :

ـ اذا أردت الاختصار ، فاننى جئت الى انجلترا لاقنع المسئولين فيها بأن لا امل لهم فى كسب الحرب ، ولعل هذا واضح تماما الآن أكثر من أى وقت مضى .. وأن مجيئى الى هنا ((هدية من السماء)) تهيأت لبريطانيا لكى تنقذ نفسها وتتفاوض معنا من اجل السلام .. ومعى كل الصلاحيات من أجل تفاوض كامل ..

وتوقفت عن الكلام .. لقد اعطيتهم ما أريد بدقة ، وباختصار وبوضوح ، وكما اتفقنا عليه بالحرف الواحد .. ثم توقفت عن الكلام فى هذه اللحظة ، لكى أترك لكلماتى هذه أن تعطى انطباعها فى اذهانهم ، وتترك اثرها العميق فى نفوسهم !!



وهنا سألنى كيركباتريك :

ـ هل ينوى هتلر أن يغزو بريطانيا اذا فشل التفاوض معك من اجل السلام ؟

كان سؤالا مفاجئا لم نتوقعه ـ لا انا ولا اى من هوشوفير او روزنبرج ـ وذلك لسبب بسيط : وهو أننا لم نفكر لحظـــة فى عملية الغزو هذه ، لذلك قلت له ، كاشفا أوراقى اكثر واكثر :

ـ ان الفوهرر مستعد تماما لعقد صلح مشرف مع بريطانيــا بهذه الشروط .. سيطرة المانيا الكامـــلة على أوروبا مع اعادة المستعمرات الالمانية القديمة اليها ، واستمرار سيطرة بريطانيا على امبراطوريتها فيما وراء البحار .. مع تعهد كتابى متبادل بين الدولتين على احترام كل منهما للآخر ..

ثم سألنى كيركباتريك بناء على توجيه من الكسندر كادوجان :

ـ وهل هتلر مستعد للمجىء الى لندن أم سيقابل تشرشل فى بلد محايد مثل اسبانيا .. ما هو تصوركم لهذا اللقاء ؟

وكانت الاجابة على هذا السؤال محددة وجـــاهزة .. لأن السؤال كان متوقعا طبعا .. فقلت له على الفور :

ـ اولا أنا أحمل معى تفويضا كاملا من الرايخ الالمانى للتحدث باسمه لكى نتفق على كل شىء .. ولا نترك لهتلر الا التوقيع .. مكان التوقيع أمر لن نختلف عليه .. وان كان الرايخ الألمانى يفضل مدينة برشلونة على الساحل الاسبانى مكانا « لمؤتمـر الصلح التاريخى » . ولكن هناك شرط هام قبل التوقيع ، وهو ان تغيروا رئيس وزرائكم ونستون تشرشل قبيل التوقيع .. لأن هتلر يرفض بحزم وحسم أن يوقع اتفاقية مع هذا الرجل .. ولكن هذا لا يمنع من أننى مستعد للتفاوض مع الوزارة الائتلافية الحالية الموجودة تحت رياسته ، على شرط أن تعينـوا رئيس وزراء جديدا قبل السفـــر الى « مؤتمر الصـــلح فى برشلونة » .

وهنا وقف زوارى .. ثم التفت الى الدوق هاملتون ، وهو يهم بالانصراف وسألنى :

ـ هل لك طلبات معينة هنا ؟

فقلت له بتفاؤل شديد :

ـ نعم .. أنا أحتاج خلال فترة اقامتى فى بريطانيا الى سكرتير خاص لى على ان يكون المانى الجنسية .. ولو أرسلتم لى كشوف الأسرى الألمان عندكم فسأختار السكرتير اللائق من بينهم كذلك احتاج لمنزل قريب من لندن وملابس مدنية .. !

وهنا تبادل الدوق مع الكسندر وايفون النظرات .. وصمتوا جميعا فترة .. ولكن الدوق قطع الصمت .. وقال :

ـ هل تكتب (التماسا) بهذه الطلبات لرئيس الوزراء ؟

ـ التماس !!!

هكذا هتفت فى وجهه بصيغة الاستنكار الشديد .. فحتى هذه اللحظة لم اكن اتصور لحظة ان بريطانيا سترفض هذه « الهدية التى هبطت من السماء » .. وقلت للدوق بصيغة الحزم والحسم :

ـ لن اتفاوض مع احد منكم بعد اليوم الا اذا اجيبت طلباتى كلها وفورا .. وبلا التماس !

وبسرعة فهمت أن كتابة هذا الالتماس جنون .. ان التماسا بهذا المعنى بخط يدى يمكن أن تستغله الدعاية البريطانية ضد بلدى وزعيمى ..



وكانت الساعة قد بلغت الرابعة من صباح يوم الاثنين ١٢ مايو ١٩٤١ .. حين انصرفوا من عندى .. وسافروا فورا بالطائرة عائدين الى لندن .

ولم يكن حتى هذه اللحظة قد صدر اى بيان من أى من الطرفين عن موضوع سفرى .

كان هتلر فى مقر الرايخ الالمانى ببرلين ينتظر بيانا من لنـدن يقول ان هناك طيارا المانيا اسمه « هوفمان هورن » قد هـوى بالبراشوت بعد أن ضل الطريق ونفد منه الوقود .

وفى هذه الحالة سيعلم اننى لم استطع بعد الاتصـال بكبار المسئولين البريطانيين .

وكان ينتظر بيانا آخر يمهـد لتغيير وزارى فى بريطانيا ؛ لاعتلال صحة ونستون تشرشل رئيس الوزراء .

وفى هذه الحالة سيعلم اننى كشفت عن شخصيتى بعد أن قابلت كبار المسئولين البريطانيين ، وشرحت مهمتى بالتفصـيل .. وبريطانيا استجابت فورا .. وانها ستقدم تشرشل كبش الفداء فى عيـد الصـلح !!

ولكن شيئا ما لم يصدر من الجانب البريطانى .. وتوجس هتلر خيفة من هذا الصمت المطبق .. فقد كان يخشى أن يفاجأ بسلاح دعاية رهيب يهزه هزا عنيفا : « هيس وزير الرايخ الالمانى طار الى انجلترا ليعرض عليها الصلح .. وانجلترا ترفض وتصر على الحرب » .. أو .. « وزير الرايخ الالمانى يعرض على بريطانيا أن تترك لها المانيا كل مستعمراتها فيما وراء البحار مقابل أن تترك بريطانيا كل أوروبا تحت السيطرة الالمانية . ولكن بريطانيـا التى دخلت الحرب مرغمة من اجل كذا وكذا ترفض هذا بشدة »

وكان هتلر يخشى ان يصدر أى بيان غير حـكيم من جانب بريطانيا .. او يحصل أى ضغط مادى أو ادبى على شخصى فافضى باسرار عملية « باربروسا » لغزو روسيا .. ومعنى ذلك فشـل العملية قبل البدء فيها هكذا كان تفكير هتلر والرايخ كله فى هـذه اللحظات ..

لقد مضت مائة ساعة الآن .. وانجلترا صامتة صمت القبور . اجتماعات الرايخ الالمانى مستمرة .. ولكن جورنج بدأ يقود حمـلة

تشكيك ضدى فى آخر اجتماع .. وطلب التحرك بسرعة قبل ان يتحرك العدو .. ان انقضاء مائة ساعة دون ان يصدر اى بيان معناه اننى قابلت المسئولين البريطانيين الكبار قطعا .. واحتمال الرفض البريطانى للعرض الالمانى اصبح كبيرا .. لأننا كلنا كنا متصورين ان حركة ترحيب ستحدث فورا .. ولكن ما حدث الآن أن الترحيب السريع لم يحدث .. أذن احتمال الرفض تضخم . اذن لابد من أن يستعد الرايخ فورا ..

وهنا امر هتلر الجنرال « بورنتشاتز » بأن يمسك قلما ليكتب ما سيمليه عليه . واخذ هتلر يفكر فى صيغة البيان الواجب اعداده لكى يكون جاهزا للاصدار فى اى لحظة .

وكان هتلر عصبيا للغاية .. كان يدخل تعديلات وراء تعديلات على كل ما يمليه .. ثم يقول للجنرال « بورنتشاتز » .

ـ اقرا البيان من الأول ..

فيقرؤه الجنرال .. فيقول له هتلر :

ـ لا .. لا .. مزق هذا البيان . ساملى عليك بيانا آخر

وقد بلغ عدد البيانات التى املاها هتلر ومزقها سبعة بيانات .. الى ان استقر الرأى على البيان الثامن .

وهنا استدعى هتلر مستشاره الصحفى الدكتور (اتوديتريتش) .. واعطاه البيان ، وطلب منه اذاعته بمجرد أن يصدر له تعليمات بذلك .. وفض هتلر اجتماع الرايخ الذى ظل فى حالة انعقاد دائم لمدة اربعة ايام ونصف يوم .

ثم قال هتلر لمستشاره الصحفى :

ـ ان التعليمات الخاصة بترقب اى اذاعة تصدر عن بريطانيا تتصل بطيار اسير .. او تتصل باسم هيس من قريب أو من بعيد ، يجب ان تستمر ، وبمجرد اذاعة اى شىء اتصل بى فورا فى اى مكان اكون فيه .. حتى لو كنت نائما !!



الكسندر كادوجان .. كان معنا اثناء عقد معاهدة ميــــونيخ مع تشمبرلين ..
ويعرفنى شخصيا .. واخيرا وجدت أناسا على مستوى المسئولية ..

الفصــــل الســادس

هتلر ينسف مهمتي

لم ينم هتلر طول ليلة الاربعاء ١٤ مايو ١٩٤١ .. وفى فجر يوم الخميس ١٥ مايو كانت اعصاب هتلر قد وصلت الى ذروة توترها .. فأمر مستشاره الصحفى باذاعة البيان، وتوزيعه على وكالات الأنباء .. وقد اتخذ هتلر قرار اذاعة البيان منفردا .. مثل كثير من القرارات الهامة جدا التى كان يتخذها وحده، ويأمر بتنفيذها دون الرجوع الى الرايخ .. أو الى اى وزير من الوزراء .. لذلك اتصل به جورنج تليفونيا .. عند سماع البيان .. وسأله بلهفة :

ـ هل حدث جديد فى الموضوع ؟

ـ ابدا !!

هكذا قال هتلر بعد أن هدأت اعصابه قليلا عقب اذاعة البيان

ـ لماذا اذن هذا التعجل ؟ (هكذا سأل جورنج)

ـ ان بريطانيا التى تتردد فى قبول هذه « الهدية التى هبطت عليها من السماء » لا تستحق أن نعطيها فرصة اكثر من هذا

وكان تعبير « الهدية التى هبطت من السماء » من أقوال هوشوفير المأثورة التى وصف بها الرحلة المشئومة التى قمت بها ودفعت حياتى كلها ثمنا لها !!

وصمت جورنج .. ولم يكن فى استطاعته الا أن يصمت !!!

وقد جاء بيان الرايخ يقول:

« ويعلن الحزب الاشتراكي الوطنى رسميا .. ان عضو الحزب رودلف هيس ، الذى كان يعانى فى الفترة الاخيرة من اشتداد علة قديمة لازمته منذ سنوات ، والذى كان لهذا السبب ممنوعا منعا باتا من القيام بأى عمل يتصل بالطيران .. قد تمكن من الحصول على طائرة ..

وفى يوم السبت العاشر من مايو .. انطلق هيس بالطائرة فى رحلة لم يعد منها للآن ..

وقد ترك هيس وراءه رسالة يدل تخبطها على خبل عقلى يخشى منه أن يكون قد وقع فريسة « للهلوسة » .

وقد اصدر الفوهرر من فوره أمرا باعتقال مساعد عضو الحزب هيس ، لأنه الوحيد الذى كان يعلم بأمر هذه الرحلة ، ولم يحاول ـ على عكس أوامر الفوهرر التى يعلمها جيدا ـ أن يمنعها أو يبلغ عنها ..

وبناء على ذلك فانه يعتقد ان يكون هيس قد وقعت له حادثة ما .. ! »



وفى هذه اللحظة التى كان الراديو الألمانى يذيع فيها هذا البيان ، ووكالات الانباء تنشره فى جميع انحاء العالم .. فى هذه اللحظة كان ايفون كيركباتريك يفتح باب حجرتى ليقابلنى للمرة الثانية ..

كانت المرة الأولى فى مساء الأحد ١١ مايو .. واستمرت الجلسة حتى الساعة الرابعة من صباح الاثنين ١٢ مايو .. وقد مضت على أيام الاثنين والثلاثاء والاربعاء كاثقل ما تكون الايام واطولها .. كان يبدو الليل بلا نهار .. وكان يبدو النهار سرمديا

بلا ليل !! .. كنت مع كل دقة على الباب اتصور حرس شرف سيصحبني الى منزل انيق في لندن .. لاستعد لحضور اجتماع لمجلس الوزراء البريطاني .. أو للقاء مع الملك جورج .. وكنت قد أعددت نفسي تماما لأى من اللقاءين حتى التفاصيل الدقيقة الخاصة بالبروتوكول .. بوصفي رجلا يمثل دولة منتصرة !!

لم اعد أطيق بيجاما الجيش البريطاني الرمادية التي ارتديها . كدت أشقها بالطول من سأم الانتظار ... لو كان للانتظار ما يبرره لكنت أصبر .. ولكن فيم الانتظار الآن ؟ .. ثم أن الرايخ الالماني يعيش على اعصابه .. ثم أن كل دقيقة تمر معناها مئات القتلى والجرحى ومئات من الخرائب .

وكنت داخل القلعة معزولا عن العالم كله .. لا أعلم شيئا عن بيان هتلر ، ولا عن اخبار الحرب عموما .. وكان هذا وحده كفيلا بأن يمزقني نفسيا ..



وحينما دخل ايفون كيركباتريك على في الحجرة دون أن يكون بصحبة أحد من كبار الساسة البريطانيين .. تشككت في الأمر .

وقد بادرني ايفون بقوله :

ـ لي بعض اسئلة لتكملة حوارنا السياسي الممتع !!

وكان ايفون يمسك بورقة في يده .. وكان يتحدث بالألمانية .. ولكني قلت له بحسم !

ـ لن اتخذ اى خطوة نحو مناقشة ((اتفاقية الصلح)) المقترحة الا بعد أن تجاب كل طلباتي فورا .

ولم اكن اعلم ـ كما قلت ـ حتى هذه اللحظة ببيان هتلر الغريب الذى نسف مهمتي نسفا .. لقد تعجل هتلر كثيرا في اذاعة هذا البيان .. ولو تريث اياما أخرى لتغير وجه التاريخ ..

وكان هذا البيان هو سر الابتسامة التى لم تفارق شفتى ايفون وقد عاد يسألنى عن « شروط السلام » .. فقلت له بلهجة حاسمة :

ـ ايفون .. الآن كل ما استطيع ان اقوله لك هو اننى احتج رسميا على طريقة معاملتى هذه .. بل اننى أعتبر نفسى مع الأسف الشديد أسيرا لديكم !!! .. لذلك ارجو اتخاذ الوسائل الكفيلة بسفرى فورا الى المانيا .. ولا أريد ان اتحدث عن السلام معكم بعد اليوم ..

ولم تفارق الابتسامة شفتى ايفون وهو يسألنى :

ـ وكيف تتصور موضوع العودة .. وانت لم تعلم بعد رأى بريطانيا فى « مؤتمر الصلح » المقرر عقده فى برشاونة ؟

ـ لا يهمنى رأى بريطانيا .. اذا كانت بريطانيا لا تحترم حرية المفاوضين .. ولا تعاملهم المعاملة اللائقة .

ـ هل أنت مصر على العودة الى المانيا الآن ؟

ـ نعم وبكل تأكيد .. ولن استمر فى مهمتى اذا لم يقدم لى الجانب البريطانى الاعتذار الكافى عن معاملتى هذه .. ويقوم فورا باتخاذ ما ينبغى نحو ضيف كبير يمثل دولة عظمى .. هل تنكر بريطانيا وجميع الساسة بها اننى الرجل رقم ٣ فى العالم كله ؟؟ .. فكيف تجرؤ بريطانيا على معاملتى هكذا ؟؟

وبعد فترة صمت .. قال ايفون :

ـ هل تعتقد أنه من الممكن ، فى تصورك وتقديرك أن تنقلك طائرة بريطانية الى برلين الآن ؟

ـ أنا مستعد اذا اقتضى الأمر أن أقفز بالبراشوت حينما تصل الطائرة الى أى أرض المانية .. أو تابعة لقواتنا ..

ثم سألنى ايفون :

ـ وماذا تعتقد ان يكون موقفك من الرايخ الالمانى وقد فشلت مهمتك ؟؟؟

فقلت له باحتدام « ونرفزة » : بل كدت أقلب المنضدة التى امامى فوق راسه .. وأنا أقول له :

ـ وما شانك انت بهذا ؟

ثم قلت له ما كنت اكتمه فى صدرى منذ ليلة الحوار السابقة :

ـ ايفون .. انك كثيرا ما تنسى نفسك وأنت تتحدث مع وزير الرايخ الألمانى .. الرجل رقم ٣ فى العالم كله .. ليس هكذا يكون الحديث معى .. وانت خير من يعلم ذلك !

وهنا قال لى ايفون :

ـ يظهر انك لم تعلم بعد البيان الذى أصدره الحزب الاشتراكى الوطنى الالمانى ، ورايه فى عضو الحزب رودلف هيس ، وكيف انه يعانى من اشتداد علة قديمة لازمته منذ سنوات ، وكانت السبب فى منعه من الطيران منعا باتا .. وأن عضو الحزب تحت تاثير هذه العلة طار فى رحلة غامضة مساء السبت العاشر من مايو .. وقد ترك خلفه رسالة تدل فى تخبطهـا على أنه وقع فريسة ((للهلوسة)) .. و .. و

فقاطعته وأنا شبه مذهول !

ـ ما هذا الذى تقوله أيها الملحق السياسى .. ؟؟

فقال لى :

ـ لقد اذيع هذا البيان منذ لحظات !

واعطانى ايفون نسخة من البيان باللغة الالمانية ... وانصرفت

وصعقت عندما قرأت البيان .. وتصورت تماما كل ما حدث كما رويته لك من قبل ... الرايخ الألمانى بعد أن ظل منعقدا

لمدة اربعة ايام ونصف يوم ينتظر بيانا من بريطانيا يدل على ترحيبها « بالهدية التى هبطت عليها من السماء » .. قرر نسف المحاولة قبل أن يستغلها العدو كسلاح ضده فى الدعاية !



وهنا ايقنت على الفور أن مهمتى فشلت تماما .. واصبح واجبا على الآن أن احمى بلادى ، واحمى زعيمى هتلر من الدعاية البريطانية المضادة .

ثم تأكدت من شيء آخر هام .. ان البريطانيين سيحاولون الاستفادة منى كمصدر لادق المعلومات عن اهداف هتلر العسكرية .. وخططه فى المستقبل .. وتوقعت ما هو اخطر من هذا كله . توقعت تعذيبا بدنيا ونفسيا من اجل الحصول على هذه المعلومات .

لذلك عندما زارنى ايفون كيركباتريك فى صباح اليوم التالى ـ لم تكن زيارته مفاجئة لى .. وعلى الرغم من انها كانت الزيارة الثالثة .. فقد كنت أعلم انهم سيحاولون استدراجى فى الحديث اولا .. فاذا لم تفلح هذه الوسيلة .. كانت هناك وسائل اخرى مملوءة بالاشواك !!

ولم يكن الرسول البريطانى ذكيا عندما قال :

ـ هر رودلف .. ما رايك فى حوار سياسى قد نصل منه الى نقاط محددة تكون أساسا للقاء لك مع المسئولين الكبار ؟!

وعلى الرغم من علمى التام بان هذا مجرد « فخ » نصبه لى لمعرفة ما يمكن معرفته من خطط النازى المستقبلة الا اننى لم أمانع .. وذلك لثقتى التامة فى نفسى وقدرتى على المناقشة ، من ناحية ولاتجنب أى ضغط بدنى أو نفسى قد يصل الى حد التعذيب الرهيب !!

لذلك قلت له :

ــ وما المانع ؟

ولم يكن ايفون لبقا منذ اول سؤال .. حينما قال :

ــ هل هتلر يعتبر روسيا جزءا من اوروبا ام من آسيا ؟

فقلت له : آسيا طبعا !!

ــ ولكننا سمعنا عن عقبات فى تنفيذ الاتفاقية التجـــارية المعقودة بين المانيا وروسيا ؟؟

فاجبته فى حسم :

ــ ان هتلر رجل شريف وسوف يظل ملتزما بكل اتفاق عقده

ــ ولكن ما تفسيرك للمطالب العديدة التى قدمتموها لروسيا وطلبتم الاجابة عليها فورا .. وكانت تعبيرات هتلر تحتوى على قدر كبير من التهديد ؟

ــ هذا لا يعنى نقض اى اتفاق سابق؟

ــ ولكن الاتفاق بين المانيا وروسيا اتفاق تجارى لا يمنع من الخلاف على نقاط اخرى قد تؤدى الى نشوب حرب بين البلدين .

فقلت له فى وضوح وحسم :

ــ لا اعتقد ان فى نية الفوهرر الآن مهاجمة روسيا !!

ــ ولكن هناك اشاعة قوية تؤكد ان الرايخ يضع خطة كاملة لغزو روسيا وتطويقها !! ؟

فقلت له : لا علم لى باى خطة من هذا القبيل .

ــ هر رودلف .. هل تستطيع ان تؤكد لى انه ليس فى نيـــة الفوهرر الآن غزو روسيا ؟

ــ استطيع ان اؤكد لك هذا !

وهنا هم ايفون كيركباتريك بالانصراف .. وهو يبتسم بشكل خبث ودهاء .. ولكنى استوقفته لأقول له :

ـ هل بريطانيا مهتمة الى هذا الحد بسلامة روسيا ؟

فقال لى ايفون :

ـ ان بريطانيا مهتمة بسلامتها أولا وأخيرا !

ـ اذن لماذا كل هذه الاسئلة المتلاحقة عما سميتموه بخطة غزو روسيا ؟

ـ هر رودلف .. هل نسيت أن الرجل الذى يغزو روسيا هو الرجل نفسه الذى يحاربنا الآن .. وأن فتح جبهة ثانية امر يهمنا فى المقام الأول .

وكانت هذه الكلمات مثل السكاكين تقطع احشائى ..

وهنا انتهت المقابلة رقم « ٣ » مع ايفون كيركباتريك ..



وفى الصباح الباكر جدا .. فوجئت بايفون يحضر مع صينية طعام الأفطار .. !! .. فقابلته ببرود شديد . هل هكذا تكون الاقدار ؟؟ .. هل هكذا اقع أسيرا فى يد العدو ؟؟ ... اقع أسيرا بمحض اختيارى ؟ .. هل جزاء عرض صلح مشرف على دولة منهارة هو الاهانة والأسر ؟ .. الم يكن الأجدر بى أن ادخل لندن غازيا على رأس الجيوش الالمانية المنتصرة ؟!! .. بدلا من وقوعى صيدا سهلا فى أيديهم يقفون منى على كل المعلومات ؟؟!! والا فلماذا جاء ايفون للمرة الرابعة !!

وأذكر أن أهم ما سألنى عنه ايفون فى هذه المقابلة هو .

ـ هل لدى الرايخ الالمانى أى تحفظات قبل المستعمرات البريطانية فيما وراء البحار ؟

ـ لا ..

ـ ولكن الجيوش الالمانية بقيادة روميل تزحف الآن نحـــو الاسكندرية ؟

ـ ان كل ما نحن ملتزمون به فى الشرق الأوسط هو تاييـد رشيد عالى الكيلانى فى العراق والعمل على الوساطة لدى بريطانيا فى جلاء قواتها عن العراق ، واعطاء العراق استقلاله الـــكامل وسيادته على أراضيه •

ـ وهل هذه هى وجهة نظر هتلر شخصيا ؟

ـ ان هتلر شخصيا والرايخ كله يؤيد رشيد عالى الكيـلانى زعيم العراق تأييدا مطلقا •• وهتلر مصر على ((التفاوض)) مع الحكومة البريطانية من أجل استقلال العراق وتثبيت زعـامة رشيد عالى الكيلانى فى الشرق الاوسط •

ثم انتقل ايفون الى نقطة اخرى •• فقال :

ـ وهل تعتقدون أن هتلر مستعد لوقف نشاط الغواصات الالمانية والمدافع البعيدة المدى ارفع الحصار الاقتصادى والعسكرى المفروض على الجزيرة البريطانية ؟

ـ اعتقد أنه لو حسنت النيات •• وبدانا جديا فى التحضير لمؤتمر الصلح المفروض عقده فى برشلونه •• ستسير الأمور عـلى خير ما يرام بالنسبة لكل الأطراف •

ـ ولكن هل هذا ممكن بعد البيان الذى اذاعه هتلر ؟؟

فقلت فى تفاؤل شديد ••

ـ كل شىء لا يزال ممكنا • •لو أعلن تشرشل تنـازله عن الحكم •• وبدات الوزارة البريطانية الجديدة التفاوض معى !!

ـ بعد أن اتهمك هتلر بالهلوسة واختلال العقل •• هل يمكن ان يقبل تشرشل فكرة انك تتفاوض باسم هتلر ؟

فسألت أنا ايفون بدورى ؟

ـ هل تشرشل يطلع على مناقشاتنا السياسية ؟
ـ بكل تأكيد
ـ اذن .. ما رأى تشرشل فى مدى صدق بيان هتلر الأخير ؟
فقال لى ايفون ـ وهذا كلام أقوله للتاريخ ـ قال :
ـ ان تشرشل يؤكد ان البيان الالمانى الأخير غير صحيح جملة وتفصيلا .. فلولا البيان لم يصدر الا بعد خمسة ايام من وصولك الى بريطانيا .. ثم انه يتهمك بالهلوسة والجنون واختلال العقل منذ زمن بعيد فكيف يتفق هذا مع احتلالك لأهم مناصب الدولة .. ثم ان مناقشاتك يقول عنها تشرشل انها تدل على أنك بعيد كل البعد عما يصفونك به من جنون .
وهنا سألته عن حجم المساعدات التى تتلقاها بريطانيا من أمريكا فقال :
ـ مجرد مساعدة الصديق للصديق !
وانصرف ايفون عقب هذه العبارة مباشرة .. لقد أدرك أن هناك سلسلة أخرى من الأسئلة فى رأسى .. فخرج بسرعة .. ومن يومها لم أره حتى يومنا هذا .



ولكن من المؤكد أن ايفون كان يخرج من عندى ليذهب مباشرة الى حيث يقابل ونستون تشرشل ، ويفضى له بكل ما دار بيننا بالتفصيل .. لأن تشرشل أصدر بعد هذه المقابلة مباشرة عدة قرارات خاصة بى .. وهى :
١ ـ يعامل « هر » رودلف هيس ـ وقد استعمل تشرشل شخصيا كلمة « هر » دائما فى كل الأوامر الخاصة بى ـ يعامل معاملة أسير حرب من الدرجة الأولى تحت اشراف وزير الحربية

شخصيا .. فمن المحتمل ان يكون مع بقية زعماء النـازى من مجرمى الحرب .. ولكن توبته ستنفعه مستقبلا !

٢ ـ يجب أن يعامل هر رودلف هيس باحترام كأى جنرال كبير يقع فى الأسر .

٣ ـ يجب المحافظة على صحة هر رودلف هيس والسهـر على راحته وأن توفر له الكتب التى يطلبها ووسـائل الكتابة لعله يكتب شيئا يفيد الامبراطورية فى حربها ضد المانيا .. ويجب أن يكون على صلة بالعالم الخارجى فيرخص له بقراءة الصـحف وسماع الراديو .. فان ذلك قد يفيدنا مستقبلاً عندما يبـدأ الخط البيانى لانتصارات هتلر فى النزول .

٤ ـ يجب ان يعزل هر رودلف هيس عزلا تاما فى مكان مناسب غير بعيد عن لندن .. ويجب بذل كل ما يمكن من جهـد من اجل دراسة حالته العقلية .. دراسة وافية ..



وفى مساء يوم الجمعة ١٦ مايو تقرر نقلى الى برج لنـدن الشهير لاعتقالى فيه .. وكان النبأ قد نشر فى الصحف ، وتمت اذاعته فى نشرات الأخبار ، فتجمع فى محطة « ايوستون » حشد ضخم ، واخذ الناس يزأرون ويهزون بقبضات أيديهم فى وجهى ، فقابلت كل ذلك بابتسامة ساخرة .. ولما تمادت الجموع فى قلة الحياء ، وبدأوا يشتموننى بالألمانية .. رفعت ذراعى بالتحيـة النازية المعروفة امعانا فى الكيد لهم ..

ومن محطة « ايوستون » نقلـونى الى برج لنـدن فى عربة اسعاف مغلقة !!

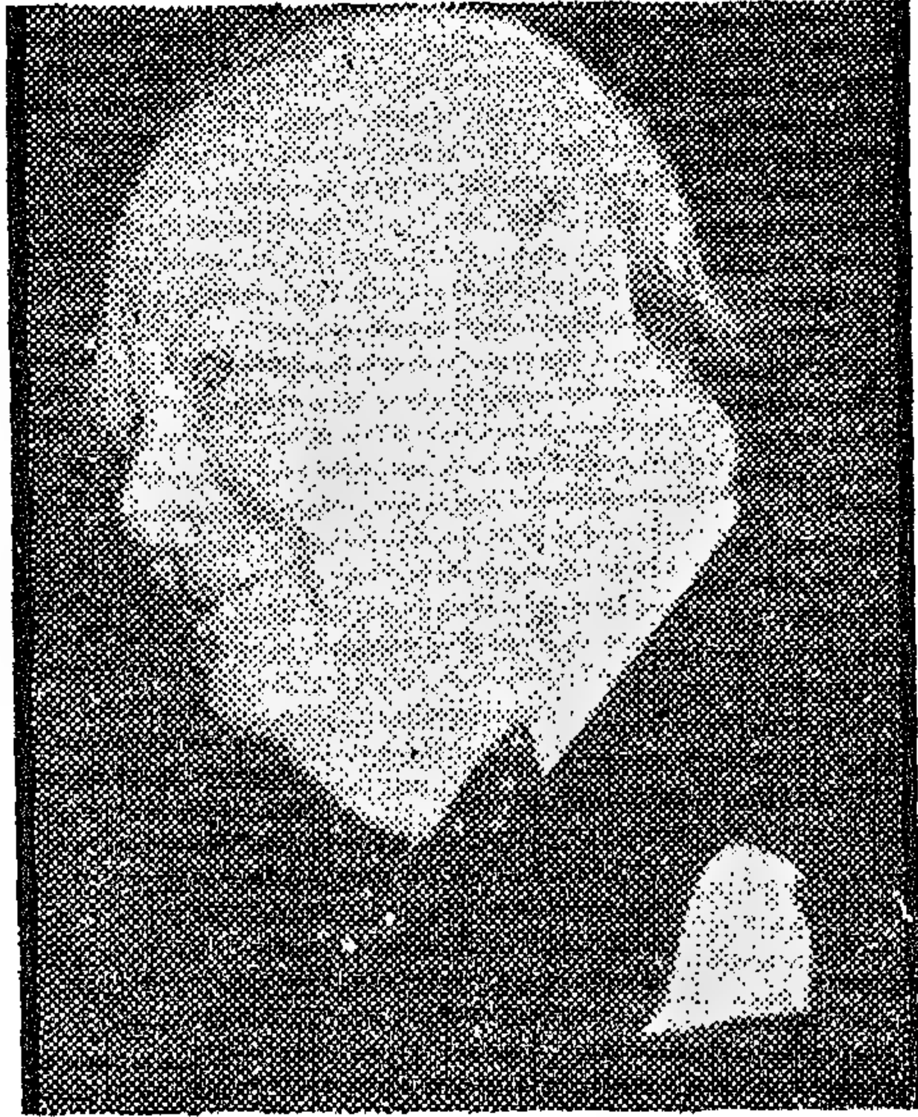
وفى يوم الأحد ١٨ مايو .. أسند وزير الحربية البريطانى الى الليفتنانت كولونيل مالكولم سكوت مهمة اعداد معسـكر خاص

لاعتقالى فيه .. وقد تم بناء سجن صغير داخل حديقة واسعة .. وحول الحديقة تم بناء خنادق مزودة بمدافع رشاشة واسلاك شائكة .. وتحت الحديقة كان هناك اكثر من نفق يوصل بين البوابة الرئيسية وبدروم السجن .. وقد تم تثبيت الميكرفونات فى الانفاق وداخل المداخل وذلك لرصد حركاتى وكلامى .. وذلك لتسهيل مهمة الحراس فى مراقبتى ، ومهمة المخابرات فى التجسس على ..

وقد تم بناء كل هذا فى ثلاثة ايام فقط لا غير !!

وفى يوم ٢١ مايو .. فى جنح الليل .. داخل سيارة شرطة مقفلة تم نقلى من برج لندن الى هذا المعسكر القائم بالقرب من لندن فى بلدة اسمها « فارنبروه » ..

وهنا قرر هتلر خطفى .. بعملية جريئة ..



كان تشرشل يعتقد ان بيان هتلر عنى محض كذب وافتراء .. وكان يقول : لو كان هيش مجنونا فعلا منذ مدة طويلة فلماذا ابقاه هتلر فى اعلى منصب فى الدولة طوال هذه السنين ..!

الفصــــل الســابع

هتــلر يحــاول خطــفى

لقــد كان هتلــر متمزقا تمزقا داخليــا شــديدا .. مع أنه كان فى اوج عظمته .. ان جيوشه المنتصرة تطل على الاطلنطى غربا وتمتد الى ما وراء وارسو شرقا .. ومن اقصى شــمال النرويج الى صحراء مصر جنوبا .. ومع ذلك فهو يعانى أزمة نفسية شــديدة .. لا لفشــل خطته فى الصلح مع بريطانيا فحسب ، بل لاننى وقعت أسيرا فى يد عدو لا يرحم !

لقد كان هتلر يحبنى حبا جما .. وكان حزينا على المصير ، الذى انتهيت اليه حزنا شديدا ..

هذه حقيقة أقولها للتاريخ .. ولا تهمك المظاهر !



فمن هذه المظاهر مثلا أن هتلر عقد اجتماعا مع قادة الجيش ، وقال لهم بالحرف الواحد :

« لقد كانت رحلة هيس مفاجأة لى !! .. حقيقة اننى كنت أعلم أن هيس يعانى من صراع داخلى ناجم عن أن شعبين من أصل واحد يدمر أحدهما الآخر .. كما انه كان مأخوذا ببعض الغيبيات والتنبؤات . وكان مشغوفا بالطيران الخطر ، الى حد أننى أصدرت أوامرى بمنعه من الطيران منعاباتا .. الى آخر ما قاله »

وقد استمع « الجنرالات » إلى هتلر فى صمت مطبق كالعادة ، دون أن يجرؤ أحدهم على توجيه السؤال المعقول ، وهو اذا كان

هيس فعلا مختل العقل ــ كما تقــول ــ فلماذا ابقيت عليه فى منصب نائب الزعيم ؟؟!

كان هذا من المظاهر العامة امام الناس فقط .. أما الوجه الحقيقى لهتلر ، فقد كان واضحا فى اجتماعه مع قائد الطيـران انه امره بوضع خطة ممكنة لخطفى من المعتقل فى بريطانيا .

وكانت المخابرات الالمانية قد اعتقدت انني فى معتقل « لوتون هو » فى بلدة « بدفورد شير » وهو مركز الاستجوابات التـابع لسلاح الطيران الملكى البريطانى ، حيث كان يتم نقل الأسرى من الطيارين الالمان الى هناك لاستجوابهم .

لذلك تقرر القيام بغارة جوية كثيفة جدا .. يتم بعدها اسقاط ٣٠ جنديا محاربا مزودين بالاسلحة السريعة ، لخطفى من السجن ، ثم الهروب فى طائرة معدة لذلك بالقرب من المعتقل ..

ووقعت الغارة ، طبقا للخطة المرسومة .. ولكن الجنـود لم يجدونى هناك .. فقد كنت فى معتقل آخر خاص ــ كما سبق أن قلت ــ وهو معتقل « فارنبروه » .. لذلك عاد الكوماندوز الالمان ومعهم بعض الأسرى من الطيارين الالمان فقط .. لأبقى أنا فى السجن حتى هذه اللحظة !!

وكان لهذا الحادث اثره على مستقبلى فى بريطانيا ــ كما سيتضح فيما بعد ــ ولكن على أى حال لقد أكد الحادث فراسة تشرشل حينما قال لايفون كيركباتريك انني سافرت بناء على تعليمات هتلر وتوجيهه ، ولكن هتلر تعجل الأمر ، فاصدر بيانه ساحبا التوكيل الذى أعطاه لى ...



ومن بين هذه المظاهر أيضا .. ذلك البيان الذى اصدره الرايخ ، ونشره على العالم كله بعد اسبوع واحد من سفرى ..

اى بعد يومين من البيان الاول الذى نسف مهمتى .. وقد جاء فى البيان الثانى ما يلى :

« بقدر ما نستطيع ان نستنتج من الاوراق التى تركها خلفه عضو الحزب هيس ، يبدو انه كان يعانى فى الفترة الأخيرة من نوع من « الهلوسة » دعاه الى أن يتصور انه يستطيع أن يحقق السلام بين انجلترا والمانيا .. بوصفهما من جنس آرى واحد .. وانه اصحيح طبقا لآخر انباء وردت الينا ان هيس قد قفز بالبراشوت من طائرته فى اسكتلندا ، وعثر عليه أحد المزارعين مصابا .. ولكننا لم نتأكد بعد من أى شىء جرى له هناك .. غير أن هذا لن يؤثر بأى حال من الاحوال على استمرار الحرب التى فرضت فرضا على المانيا !!! .. وقد اصدر الفوهرر أوامره باعتقال كل من اشترك فى هذه المهزلة وهم : الدكتور كارل البرشت هوشوفير رئيس معهد العلوم السياسية والالمانية ، وفيلى مسر شميدت صاحب مصانع الطائرات المعروفة باسمه ، والزى هيس زوجته ، وكارل هينز بينتش مساعد هيس ، وآخرون من رجاله » .

وقامت مظاهرة شعبية ضخمة لازالة اسمى من الشـــوارع والمؤسسات التى كان الرايخ قد أطلق اسمى عليها .. كما مزقوا صورى فى الميادين العامة .

وكان لابد من (كبش فداء) يذبح أمام الناس .. فعثروا عليه فى شخص مساعدى (كارل هينز بينتش) الذى حوكم أمام محكمة عسكرية عليا .. ومعه سائقى الخاص ، ورجل البوليس المرافق لى .. وقد قررت المحكمة ادانة الثلاثة ، ثم حكمت على مساعدى بالاعدام وحبس الاثنين الآخرين ..

ولكن الأحكام لم تنفذ .. بأمر من الفوهرر شخصيا .. وهذا سر جديد آخر ..

كذلك لم ينفذ البوليس الالمانى الاوامر الخاصة باعتقال هوشوفير او مسز شميدت او زوجتى الزى .. وذلك أيضا بناء على اوامر الفوهرر نفسه أيضا .



وهذا يدل على الوجه الآخر الحقيقى لهتلر .

بل اكثر من هذا كله .. اليك هذه القصة :

« كانت هناك أميرة رومانية اسمها بروكمان .. كانت تتمتع بذكاء حاد ودهاء شديد ، وكانت صديقة لهتلر منذ كان شابا مفلسا لا يملك شروى نقير .. وكان هتلر يكن لها حبا حقيقيا ممزوجا باحترام من نوع ما .. بل ان بروكمان كانت واحدة من القليلين جدا الذين كانوا يستطيعون ممارسة نفوذهم على هتلر بعد أن وصل الى قمة الشهرة والمجد والسلطان .. وعندما مات زوجها الأمير الرومانى « هوجو بروكمان » فى آخر عام ١٩٤١ حرص هتلر ، مع كثرة مشاغله ، على أن يسافر الى بوخارست ليقدم لها العزاء بنفسه .. وكان مما قاله لها بالحرف الواحد :

ـ لا تحزنى يا سيدتى كثيرا .. لقد حرمتنى الاقدار انا أيضا من الشخصين الوحيدين من بين كل من يحيطون بى اللذين كنت اكن لهما حبا خالصا حقيقيا .. فالدكتور تودت مات .. وهيس طار بعيدا عنى !! » .

فقالت له مسز بروكمان متعجبة .. رغم شدة حزنها على زوجها :

ـ ما هذا الذى تقوله لى الآن يا ادولف ؟

فاجابها هتلر فى حزن شديد :

ـ هل صدقت ما تقوله صحافتي ؟ .. ان الحقيقة غير هذا بالمرة !!

ثم روى لها هتلر القصة كاملة .. فقالت له بدهشة واستغراب بعد أن عرفت الحقيقة لأول مرة .

ـ أوه أدولف .. لقد حاول صديقك ان يحقق رغبتك بكل ما يمكن أن تتصوره من بطولة وانكار للذات .. فكيف يحدث كل هذا له ولتابعيه ؟!

فقال هتلر :

ـ كان لا بد من كبش فداء امام العالم لحفظ هيبة المانيا .. ومع ذلك أنا أمسك بفرامل السيارة المندفعة بقدر الامكان ..

ثم صمت هتلر طويلا ، قبل أن يقول لمسز بركمان :

ـ ان قليلين جدا فى العالم كله الذين يعلمون الحقيقة .. فأرجو أن تظل هذه الرواية مثل الاسرار الكثيرة التى كنت ائتمنك عليها أثناء الاعداد لدولتنا الوطنية الاشتراكية ..



هذا عن هتلر .. ولكن ماذا عن زوجتى (الزى) ؟ .. ماذا فعلت فى أثناء غيابى ؟ ..

كانت (الزى) معتادة ان اغيب عنها يومين أو ثلاثة ايام دون اى اتصال .. لذلك لم تقلق فى البداية .. الى أن صدر البيان المشئوم الذى نسف مهمتى نسفا .. فاتصلت زوجتى تليفونيا ببرجهوف مقر هتلر ، وطلبت أن تتكلم مع هتلر شخصيا فرد عليها (البرت بورمان) سكرتير هتلر الخاص ، واعتذر بأن الفوهرر مشغول للغاية ، وأنه ـ اى البرت ـ مكلف باجابة كل

طلباتها .. فانفجرت (الزى) باكية ، وطلبت ضرورة التحدث الى هتلر شخصيا .. ولم يكن هتلر ساذجا لكى يتحدث مع زوجتى فى هذه الظروف .. ثم ان عواطف هتلر دائما تحت قدميه وخاصة لو كان الامر يتعلق بمستقبل البلاد .. وهنا انهارت زوجتى تماما .. !

وكان لا بد للدولة الالمانية أن تسير رسميا فى اجراءاتها ضد خائن مجنون هرب من بلاده ، وارتمى فى أحضان عدو فى اثناء الحرب ، على حين انه كان يحتل منصبا كبيرا ! .. فكان طبيعيا جدا أن يذهب بعض رجال المخابرات الالمانية الى بيتى .. وبلا أى شفقة او رحمة ازاء سيدة قلقة على مصير زوجها طلب منها احد الرجال ان تدله على ما لها فى المنزل ، لأن كل المنزل بما فيه ملك للدولة ، وقد حذر الرجل زوجتى بجفاء من أن تدعى ملكية شىء لا تملك الدليل عليه ..

وهنا انهارت زوجتى مرة أخرى ، واجهشت فى البكاء .. فتركها الرجال بعد أن أصدروا أوامرهم لها بمغادرة البيت فورا .. !

وفى صباح اليوم التالى ذهبت زوجتى الى منزل استاذنا هوشوفير .. كانت تتوقع أن تقابل زوجته وابنه الدكتور فقط ، بعد أن علمت من الصحف نبأ اعتقاله .. ولكنها فوجئت به يجلس بهدوء كعادته فى حجرة مكتبه فهتفت غير مصدقة :

ـ أوه .. بروفيسور !!

فقام الرجل الكبير ، واحتضن زوجتى برقة وحنان ..

وكانت الكلمات تتعلثم فى فمها .. الم تعتقل حقيقة .. ام افرجوا عنك ?? .. ما هى حقيقة ما يجرى حولنا فى البلاد ؟ .. علامات استفهام وراء علامات استفهام تتراقص على شفتى

زوجتى ، وتتزاحم فى عقلها ، وتشع من عينيها .. ولكن حالتها النفسية تمنعها من مجرد النطق ..

وهدأ الرجل الوقور من روعها واجلسها .. وقال لها باختصار دون أن يكشف أوراق الدولة كلها ، لأن من عادة هوشوفير الا يثق كثيرا فى السيدات .. وقدرتهن على حفظ الأسرار .. قال لها :

ـ ان الدولة لن تنسى ماضى رودلف هيس .. وان كان قد اخطأ .. فليس معنى هذا التنكيل ؟ ؟



وعادت زوجتى مطمئنة الى البيت ، ومعها ابنى الصغير (ولف روديجير) .. ولكنها وجدت مفاجأة فى انتظارها .. رجال المخابرات الالمانية يطلبون منها اخلاء البيت فورا ..

ـ ولكن لى أشياء كثيرة فى هذا المنزل ؟

ـ ما هى ؟ ؟

هكذا رد الرجل بلهجة جافة جدا

ـ الكثير من السجاد والتحف من ملكى الخاص ..

ـ أعلم ذلك .. عليك أن تأخذيها مع ملابسك فى الصباح الباكر وسنعود ظهر غد لنجد البيت خاليا ! .. هل هذا الكلام مفهوم ؟ ..

ثم صمت رجل المخابرات الالمانى .. ثم عاد ليقول لزوجتى فى سخرية وتهكم !

ـ نحن على استعداد ايضا لأن نترك لك حجرة النوم تذكارا لزوجك العزيز ! .. وسيكون الثمن .. مناسبا !

لقد تفنن الرجل فى اهانة زوجتى .. !

وما أن انصرف .. حتى جاء رجل الحرس المنوط به العمل عند البوابة الرئيسية ، ليسلم زوجتى رسالة ، تركتها سيدة تستقل سيارة فاخرة .. كانت الرسالة من (ايفا براون) صديقة هتلر ، وكانت صديقة عزيزة لى ولزوجتى .. وقد جاء فى الرسالة :

(عزيزتى الزى — لم أجد من المناسب أن أزورك الآن لأكثر من سبب ، ولكنى أردت فى نفس الوقت أن أشعرك ، أنك لست وحدك .. انى سأقف الى جانبك فى محنتك الحالية .. لقد أحببتك انت وزوجك أكثر من أى شخص آخر .. وأرجو أن تتصلى بى فى هذا الرقم السرى لتقولى لى ما تريدين)

فاتصلت زوجتى بايفا براون لتقول لها :

— حبيبتى ايفا .. أنا عاجزة عن شكرك .. خطابك أكثر من لطيف .. فى وقت كنت فى أشد الحاجة اليه

— كيف حالك الآن ؟ .. المهم !

هكذا ردت ايفا بنبرة فيها شىء من الحزن ، فروت زوجتى كل شىء .. فقالت لها ايفا :

— لا عليك .. ستصدر الأوامر فورا بألا تغادرى البيت .. وعلى العموم ساراك قريبا ..

وقرر هتلر شخصيا منح زوجتى معاشا ضخما لم تكن لتحلم به .. وقرر ابقاءها فى منزلى الحكومى الفخم .. مع بقاء الحراسة الخاصة بالبيت .. كما هى .. وقد نقل لى هذه التعليمات أحد رجال حرس « برجهوف » مقر هتلر ..

وكان هذا هو الوجه الثانى الحقيقى لهتلر .. لقد كان يعطف على فى محنتى أشد العطف .. ولكنه يظهر امام الناس والعالم بوجه آخر تماما .. وكان هذا الوجه الآخر اصطناعيا مزيفا !

وعلى الرغم من المعاش الكبير ، وعلى الرغم من قرار هتلر .. الا أن زوجتى لم تطق ان تقيم فى منـزل يذكرها دائمـا بى .. فأغلقته « بالضبة والمفتاح » وانتقلت لتعيش فى شـقة صـغيرة كان يقيم فيها سائقى الخاص !



وبينما كانت زوجتى تحزم أمتعتها عثرت على الدبابة الصغيرة الخاصة بابنى ، ولما القت بها فى الحقيبة سـقط منهـا مفتـاح الخزانة ، وعندما فتحت الخزانة وجدت الرسالتين اللتين أشرت اليهما من قبـل .. رسـالة معنونة باسمها أروى لهـا تفاصـيل القصة .. ورسالة اخرى باسم هتلر « أرجوه » فيها أن يعتبرنى خائنا مجنونا . .اذا فشلت فى مهمتى !

وبكت زوجتى كثيرا عندما قرأت الرسـالتين .. لقـد بدأ انهيارها بمجرد أن رأت خطى على الورق .. ثم وهى تقرأ ما اقوله لها فى بداية الخطاب :

« **حبيبتى زوجتى الزى ..**

ولكن ما أن اكملت الرسالتين حتى هوت منتحبـة .. وهى تقول :

ـ أين الحقيقة ؟ .. أين الحقيقة ؟ !

وفكرت زوجتى .. ماذا تفعل الآن بعد أن وقع فى يدها أخطر وثيقتين تاريخيتين .. فى العصر الحديث ؟

اتصلت زوجتى فورا بايفا براون صديقة هتلر فى رقمهـا السرى الخاص لتقول لها :

ـ ايفا .. أكاد اجن

ـ ماذا حدث ؟

ـ لقد عثرت هنا على رسالتين كتبهما رودلف قبيل سفره مباشرة .. الرسالتان تقولان كلاما اكثر من خطير .. رسالة منهما باسم الفوهرر شخصيا .

ـ الزى .. سأحضر لك حالا ..

ووصلت ايفا براون الى بيتى الكبير بعد دقائق ، ولم تكن زوجتى قد غادرته بعد .. وأطلعت ايفا على الرسالتين .. وكانت هى الاخرى لا تعلم شيئا عن حقيقة الموضوع .. صديقة هتلر التى تقاسمه الفراش لا تعلم السبب الحقيقى لسفرى حتى هذه اللحظة .. إلى هذا الحد كان الامر فى منتهى السرية .

وأبلغت ايفا هتلر بامر الرسالتين .. فاصدر هتلر اوامر صارمة لصديقته ولزوجتى بعدم التحدث مطلقا فى هذا الموضوع مرة اخرى مع اى شخص آخر كائنا من كان .. والا كان جزاؤهما ـ بلا شفقة وبلا تردد ـ الصمت الى الأبد !

وكان هتلر عنيفا فى الحق .. يضحى بابنه لو كان فى مصلحة بلده .. لذلك لم اكن استبعد أن يقتل هتلر صديقته ايفا لو كان هذا فى مصلحة المانيا .. !

ولكن المهم ان الرسالتين ادتا مفعولهما المطلوب .. فلم تعد زوجتى (الزى) تحس بالمرارة والأسى .. بل على العكس اصبحت فخورة بزوجها واخلاصه لزعيمه .. ولبلاده ..



الفصل الثامن

تشرشل يحاول معرفة أسرار هتلر منى!

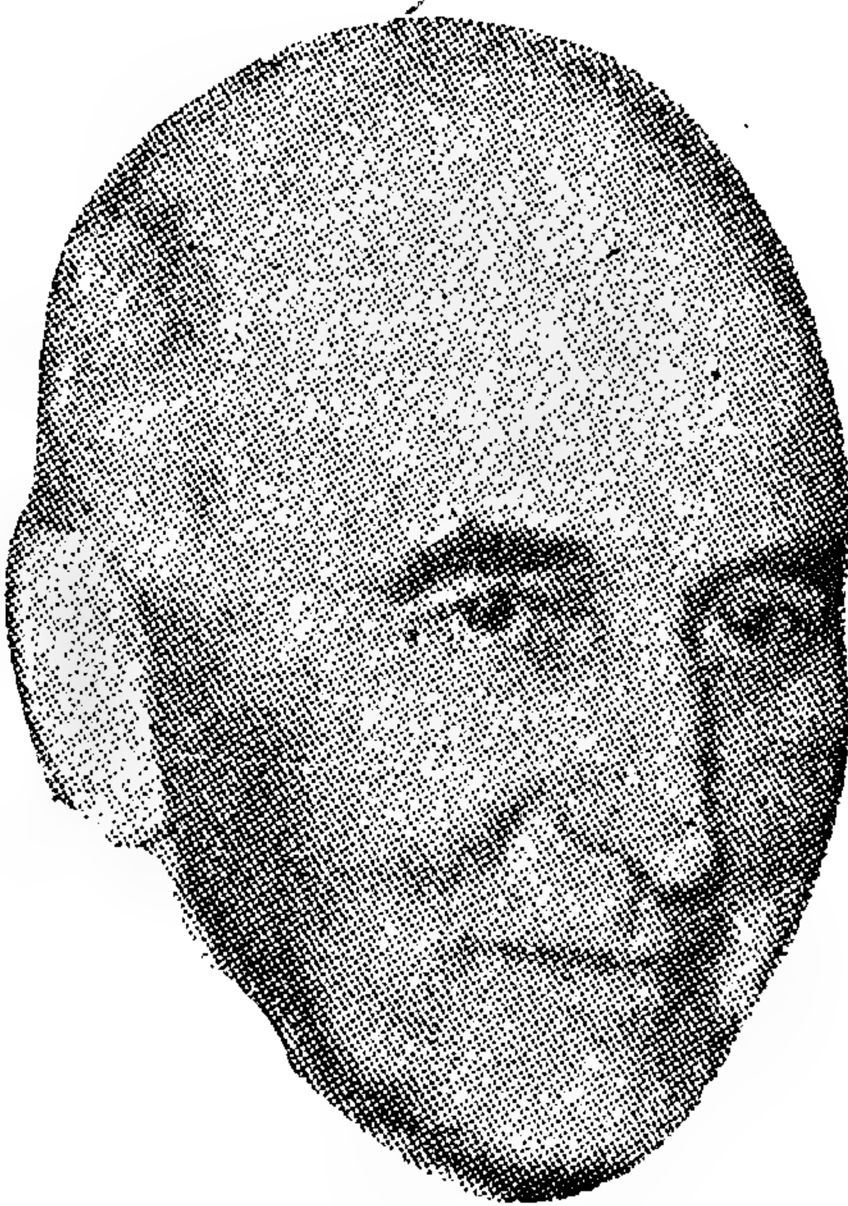
واذا كانت رحلتى قد سببت تمزقا داخليا عنيفا فى نفسية هتلر المنتصر ، فانها خلقت أيضا مشكلة سياسية عويصة لتشرشل !

كانت المشكلة تتصل بمعنويات الشعب البريطانى .. فان المفروض فى اى بلد يؤرقه شبح خسران الحرب أن يكون ميالا الى تحبيذ السلام .. وكان تشرشل يخشى جدا من أن يقف الشعب البريطانى على الحقيقة .

وكان تفكيره طوال الايام الاربعة ونصف اليوم قبل اذاعة بيان هتلر محصورا فى نقطتين !

اولا : كان تشرشل لا يثق كثيرا فى مواثيق هتلر ومعاهداته .. وكان يخشى أن يستعين هتلر به لكى يقضى على روسيا .. ولما كانت أطماع هتلر بلا حدود فسيكف فترة عن الحرب ، ويخلد للسلام ، لمجرد الاستعداد ، ثم يعود للطمع فى المستعمرات البريطانية .. ويلتهمها !

ثانيا : كان تشرشل يرى أن عرض السلام من جانب المانيا المنتصرة فى هذا الوقت الحالك السواد أمر لا يمكن رفضه بسهولة .. وخاصة إذا عرف الشعب البريطانى الحقيقة يوما ما !



.. وقد رأى تشرشل الاستفادة من وجودي عندهم بقدر الامكان .. فارسل لى واحدامن اهم وزرائه هو سير جون سيمون وزير الدولة لشئون السياسة وحامل اختام الملك ليتناقش معى فى الامور السياسية





.. كنت اعرف اللورد الداهية بيفربردك ... وكنت اعرف انه اقرب الناس لتشرشل ..لذلك مقابلتى له بعد ان تم الغزو الالمانى لروسيا كانت بمثابة اخر خرطوشة فى جعبتى

وللحقيقة والتــاريخ اقول أن تشرشل كان يميل اكثر لرفض الصلح للسبب الاول ،لذلك جاء بيـان هتلر عن اختــلال قواى العقلية ليقدم اكبر خدمة لتشرشل .. فقد ايد البيان وجهة نظر تشرشل تأييدا مطلقا .. ولم يعد هناك أمام بريطانيــا الا رفض الصلح نهائيا واعتبارى أسير حرب ..

وقد راى تشرشل الاســتفادة من وجودى عنــدهم بقــدر الامكان . فبعد أن أودعنى سجنا خاصا ببلدة « فارنبروه » قريبا من لندن .. أرســل لى واحدا من أهم وزرائه وهو ســير جون سيمون وزير الدولة السياسى وحامل أختام الملك .. ولما كان من غير المستساغ أن يذاع أن احد الوزراء سيزورنى لاجراء محادثات جدية معى ، بعد أن كانت الصــوره العامة أمام النــاس هى اننى مجنون .. لذلك اذاعت الصحف البريطانية ما يقول :

« قرر تشرشل ايفاد طبيبه الخاص للكشف على الاسير هو رودلف هيس لمعرفة مدى اختلال قواه العقلية » !

وقد راى تشرشل لسبب او لآخر أن يخطرنى فى السجن بأن زائرى ليس طبيبا نفسانيا ــ كما جاء فى الصحف ــ بل هو سير جون سيمون وزير الدولة للشـــئون السياســية .. وقد تقرر اعطائى فرصة يومين كاملين قبل أن يلتقى بى لأستعد لهذا اللقاء فكريا ونفسيا ..



وقد دام لقائى بسير جون سيمون اربع ساعات كاملة ..

وتركنى اتكلم فى البدأية كما أريد ..

شرحت له بالتفصيل كل دراساتى السابقة عن الجنس الآرى .. وانه خير الاجناس فى العــالم .. وانه يجب أن يســود .. وتكلمت كثيرا عن نظريات أستاذنا هوشــوفير .. ولكننى كنته

شديد الحرص للغاية لعدم ذكر اى شيء عن خطة غزو روسيا أو عن مقابلاتى بهتلر قبيل السفر ، او عن مجرد علم هتلر وجورنج وروزنبرج بهذه الرحلة ..

لا اذكر بالضبط كل ما دار على مدى اربع ساعات .. ولكنى اذكر اننى بدأت التحدث عن مشاعرى الشخصية نحو الحرب عموما .. وكيف اثرت فى نفسيتى تأثيرا عميقا .. « كانت الأمهات اللاتى فقدن أطفالهن والعائلات اللاتى فقدت ابناءها كانوا يلومون الفوهرر .. كيف ولماذا لا نرد الصاع صاعين ؟ » .

ثم قلت للوزير البريطانى :

ـ وعندما تأكد الفوهرر ان بريطانيا لا تريد الانصياع لصوت العقل تصرف الفوهرر وفقا للمبدأ الذى وضعه الادميرال فيشر وهو (ان الاعتدال فى الحرب ضرب من الغفلة) .

ثم وقفت .. ومشيت لآخر الغرفة .. لأقول له :

ـ أؤكد لك أيها الوزير انه كان من اصعب الامور على الفوهرر أن يتخذ القرار بشن هذه الغارات ، لقد كان هذا يؤلمه اشد الألم .. وكان يحس بعطف شديد على أولئك الذين يذهبون ضحايا لهذا الأسلوب من أساليب الحرب .

وبدأت اتحدث عن السلام والصلح .. وماذا لو استقال تشرشل من أجل انقاذ بريطانيا .

وهنا سألنى الوزير البريطانى :

ـ هل تضمن لو استقال تشرشل أن يوافق هتلر على انهاء الحرب فوراً مع بريطانيا .

ـ قطعا .

ـ هل انت متأكد من هذا ؟

ـ تمام التأكد .
ـ اذن أنت جئت الى هنا بعلم هتلر وبتدبيره ؟
ـ أبدا لم يحدث .. هتلر فوجىء برحلتى ..



وقد عاد جون سيمون ليؤكد لتشرشل انه بعد هذا اللقاء أيقن اننى ابعد ما أكون عن وصفى بالهلوسة .. واختلال العقل .. !

وهنا اتصل تشرشل تليفونيا بوزير آخر من اهم وزرائه ؛ وهو لورد بيفر بروك .. وبيفر بروك هو احد ملوك الصحافة البريطانية ، يملك عشرات الصحف ، له عقلية جبارة ، لذلك استعان به تشرشل كأحد وزراء الحرب خلال هذه الفترة الحرجة من حياة بريطانيا ..

اتصل تشرشل به ليقول له :

ـ سيدى اللورد .. هل تستطيع الحضور الى مكتبى فورا .. ؟

وجاء اللورد لينضم الى الاجتماع الكبير الذى ضم تشرشل وانتونى ايدن والكسندر كادوجان وايفون كيركباتريك .. حيث روى لهم سير جون سيمون كل ما دار بيننا على مدى أربع ساعات .



وفى مساء اليوم نفسه جاءت الانباء تقول ان الجيوش الالمانية اجتاحت الحدود الروسية ، وقد توغلت فى الاراضى الروسية ، متجهة نحو موسكو من عدة جهات .

لقد نفذ هتلر « عملية باربروسا » .. اذن .. !
ترى هل بدأ الانهيار الذى توقعه بروفيسير هوشوفير ؟

نعم .. لقد بدأ الانهيار .. هذا ما أكدته الأيام ..

ولو أنصف التاريخ لصنع تمثالا من الذهب لهذا الرجل العلامة هوشوفير .. حقيقة انه يؤمن بالغيب لدراسته لعلوم الفلك والكف .. ولكنه لم يتنكر يوما لدور العقل والمنطق .. لقد كانت كل نظرياته وتعاليمه صحيحة مائة فى المائة ..

وفى اليوم نفسه قرر تشرشل أن يرسل وفدا سياسيا وعسكريا الى موسكو ، لمناقشة أسلوب التعاون بين بريطانيا وحليفها الجديد روسيا ..

واقترح تشرشل أن يكون الوفد برئاسة بيفر بروك .. وهنا قال لورد بيفر بروك لتشرشل :

ـ سيدى الرئيس .. هل تسمح لى بشىء قبل السفر ؟

ـ ماذا ؟

ـ اريد زيارة هيس الليلة لاستطلع رأيه فى الموقف بعد أن تم الهجوم الألمانى على روسيا .

ـ لك هذا ..

وتحت اسم الدكتور ليفنجستون ، الطبيب النفسانى الشهير .. تمت زيارة اللورد الداهية لى .. وكنت أعرف اللورد شخصيا قبل الحرب .. واحترم عقليته جدا .. واعلم انه من اكثر الناس قربا لتشرشل ، وأكثرهم تأثيرا عليه .. لذلك كنت سعيدا جدا بلقائه .. خصوصا بعد التطور الاخير .. وهو دخول الجيوش الالمانية روسيا .. وقد رأيت أن هذه الزيارة هى آخر خرطوشة فى جعبتى .. سوف أطلقها وأرتاح ..

وقد بدأت الحديث معه بصراحة فقلت له :

ـ أنا أعلم انك أقرب الناس لرئيس الوزراء تشرشل

ـ هل تعتقد ذلك .. ربما !

هكذا رد بيفر بروك فى خبث وتواضع .. فقلت له :

ـ لقد كنت مؤمنا قبل مجيئى الى هنا أن فى انجلترا أناسا عقلاء يدركون ان لا فائدة من استمرار الحرب بين انجلترا والمانيا .. لقد كان هذا هو الاعتقاد السائد عندى قبل مجيئى .. لذلك كان عشمى كبيرا فى نجاح مهمتى ..

ـ وما هى مهمتك على وجه الدقة ؟

هكذا سألنى بيفر بروك .. فقلت له :

ـ عرض الصلح رسميا على بريطانيا .. وانا أتحدى تشرشل ان يعلن على الملأ بصراحة هذا الكلام .

وهنا قال بيفر بروك بالحرف الواحد :

ـ لا يستطيع تشرشل ان يعلن ذلك الآن .. ولكنه سيعلنه فى المستقبل عندما تنتهى الحرب لصالحنا .

ـ ولماذا لا يعلنه الآن .. لأنه يخشى غضبة الشعب البريطانى الذى يريد السلام .. أليس كذلك ؟

ـ بل هو يخشى أن تفتر همة شعب يكافح بشجاعة .

ثم قلت له بكل صراحة ووضوح :

ـ هل تعلم ماذا كان سيحدث لو تم الصلح مع بريطانيا ؟

ـ ماذا ؟

ـ كنا سنتعاون معا للقضاء على روسيا !

ـ هل تعتبر روسيا خطيرة الى هذا الحد ؟

فقلت له حرفيا .. لأن هذا الكلام للتاريخ :

ـ من الغباء الانجليزى أن تعتبر انجلترا أن انتصار روسيا انتصار لها .. أن روسيا لا تحارب الا من اجل مصلحتها ..

فاذا انتصرت فانا على يقين انها ستبسط نفوذها على العالم كله .. ان المستقبل سيكون لهـا فى اوروبا وآسـيا خصوصـا .. وستهبط ((بريطانيا العظمى)) الى دولة زراعية من الدرجـة الثالثة !

ـ هل انت متاكد مما تقول ؟

ـ انا على يقين من ان بريطانيا تكون فى منتهى الغباء وضيق الأفق لو تصورت ان الالمان والروس سوف يتقاتلون حتى تتلاشى الدولتان ، ويتركا اوروبا للامبراطورية البريطانية .

ـ هل تعتقد ان فرصة الصلح مع هتلر لا تزال قائمة ؟

ـ قطعا ..

ـ هل تضمن لنا ذلك ..

ـ بكل تأكيد ..



وهنا تركنى بيفر بروك ، وقبيل رحيله الى موسكو اتصـل بتشرشل وقال له :

ـ ان أسيرنا لديه معلومات على جانب كبير من الخطورة .. لا يكفى معها ان ارسل لك التسجيل فقط ..

وكانت كل حركاتى وكلامى تلتقطه ميكروفانات آلات التسجيل المثبتة فى اماكن كثيرة من المعتقل .

فقال له تشرشل :

ـ احضر فورا ..

وأجل بيفر بروك سفره الى موسكو سـاعات اجتمع خلالها بتشرشل ، وروى له كل ما دار بيننـا على مدى ثلاث سـاعات وسأله تشرشل فى النهاية :

ـ هل هيس مصاب حقيقة بنوع من الهلوسة ؟

فاجابه بيفر بروك بحسم :

ـ كلا بكل تاكيد .. ان هيس ابعد ما يكون عن هذا الوصف

وعندما سافر بيفر بروك الى موسكو استقبله ستالين .. وكان ستالين دائم السؤال عن رحلتى المفاجئة، فقال له بيفر بروك كل ما دار بيننا من حديث ، ثم لخص له احاديثى السابقة مع غيره من الساسة البريطانيين .

فقال ستالين لبيفر بروك .. قولته الشهيرة :

ـ واخيرا وجدت الدليل المادى على شكوكى .. لقد كنت اشك دائما فى ان الغرب يريد ان يتحد ضدى ..

وكان لهذا الكلام اثره الكبير لما حدث بين الشرق والغرب بعد الحرب العالمية الثانية .



.. وعندما علم ستالين من بيفر بروك حقيقة سفرى الى بريطانيا قال ستالين : «اخيرا وجدت الدليل المادى على شكوكى ، لقد كنت دائما اشك فى ان الغرب يريد أن يتحد ضدى» ..

الفصل التاسع

بدأت نوبات الجنون

اصبحت الأيام رتيبة .. ثقيلة .. مملة ..

حقيقة كنت أقرأ كل يوم كل الصحف الألمانية ، وكل الصحف الانجليزية .. وكنت احب كثيرا قراءة الصحف الألمانية طبعا .. ولكن عيبها أنها كانت تأتي بعد فترة طويلة قد تصل الى اسبوع !!

لذلك كنت أقرأ يوميا التايمس اللندنية ، حتى أصبحت التايمس مثل فنجان شاى الصباح كل يوم ، لا غنى عنها ، وتحولت قراءتها الى عادة لا أستطيع الاقلاع عنها حتى يومنا هذا .

.. وكنت أسمع الراديو .. وعندى حرية التنقل في البيت الصغير .. وحديقته الواسعة .

.. وكنت استطيع أن أكتب ما اشاء من مذكرات وملاحظات وأقرأ ما أريد من كتب .

.. وكانت كل طلباتي مجابة .. حتى انني طلبت ذات مرة ملابس مدنية عادية ، فاحضروا لى ملابس فاخرة .. فقلت لقائد السجن :

— ولكنى أريد بدلتى الخاصة التى اخذتموها منى وهى بدلة ضابط طيار المانى .

فقال لي قائد السجن :

ـ سأستأذن أولا فى هذا الأمر ..

وبعد يوم واحد كانت البدلة عندى ، وقد حولتهـــا أصابع مكوجى ماهر الى شيء جديد جميل ..

وذات مرة .. سألت قائد السجن :

ـ وهل أستطيع ان ارسل خطابات لزوجتى ؟

ـ نعم .. بكل تأكيد ..

ويبدو أنه كان لديه تعليمات بذلك من قبـــل .. فلم يمهلنى للرجوع أولا للسلطات العليا كما كان يفعل عـــادة .. بل أذن لى على الفور بكتابة ما أشــاء من خطابات .. لقــد كان المسئولون البريطانيون يظنون أنى من السذاجة بحيث سأبوح ببعض الأسرار فى هذه الخطابات ، ولــكنى كنت على يقين بأن خطاباتى ستكون موضع دراسة جـــادة وعميقة .. وعــلى أعــلى مستوى .. حتى او كانت خطابات غرام !!

كنت باختصار ألعب مـــع المسئولين البريطانيين لعبة القــط والفار ! !

.. وكنت متعودا على تنـــاول العـــديد من الأدوية الألمانيـــة المنشطة والمهضمة والمنبهة للأعصاب والعقـــل .. لذلك كتبت بها كشفا ، واعطيته لقائد السجن وقلت له :

ـ ولكنى غير متوقع أن أجد هذه الأدوية الألمانية عندكم ؟

ـ قطعا سنجدها فى لندن .. وان كنت افضـــل ان يزورك طبيبنا الخاص لمعرفة ما اذا كانت هذه الأدوية لا تزال أنت فى حاجة اليها أم لا ؟ ..



فرحبت بزيارة الطبيب الدكتور هنـــرى ديكسى لى .. بل توطدت بيننا صداقة من نوع ما ..

ولكن مرور الايام داخل هذا المــــكان المغلق ، بلا اى بريق من امل فى الافراج والعودة ، أثر فى أعصابى تاثيرا سيئا للغاية .. ولذلك فقدت شهيتى تماما للطعام .



وفى هذا الوقت السيىء بالذات .. تقرر نقلى الى سجن يبعد عن لندن ، فى جنوب ويلز اسمه « مينديف كورت » .

... كان هــذا يوم ٢١ يونيو ١٩٤٢ .. أى بعــد مرور ١٣ شهرا وعشرة أيام من وصــولى الى بريطانيا ! ! .. منها تسعــة اشهر لم اقابل فيها مسئولا بريطانيا واحدا .. وكان هذا النقل نقطة تحول خطيرة فى حياتى ..

... ولعلك قرأت أو سمعت الكثير عن فقدانى للذاكرة .. او اختلال قواى العقلية .. ولكنى اليوم ساقول للتاريخ الحقيقة كاملة .. ساقول الحقيقة لأول مرة ، وهى الحقيقة التى لا يعلمها احد حتى الآن ..

أنا فى الحقيقة كنت أعانى شــيئا أهم من فقــدانى للذاكرة او فقدانى لقواى العقلية .. انا كنت أعانى « فقدانى لشخصيتى » .. « فقدانى لأهميتى الذاتية » التى كنت أعتز بها ايما اعتزاز ..

أنا لم أسع يوما لجمع ثروة مادية ـ وكنت أستطيع فى لحظة ان اكون مليونيرا .. ولم أســع يوما لاغتنام الملذات والاستمتاع بالحياة ـ وكنت استطيع ان انال كل ما اريد .

بل لم اسع يوما للسلطان والنفوذ والحكم .. بل جاءنى كل هذا بحكم منصبى فى الحزب الذى ســاد البلاد ، وهو الحــزب الوطنى الاشتراكى الذى حكم المانيا منذ ٣٠ يناير ١٩٣٣ .

كل ما كنت أسعى اليه حقيقــة هو تكوين شخصية سياسية كبيرة لها « خلفية » ضخمة من العلــم والثقافة اسمها « رودلف هيس » تؤثر فى مجرى الأحداث فى العالم .. وتغير من سياسة

العالم .. ويكون التغيير بناء على دراسة وعلم .. هذه هي حقيقتي ..



لذلك عندما دخلت سجن « ميندايف كورت » .. وعلمت انه بعيد جدا عن لندن .. أيقنت أنني فقدت حياتي كلها .. فقدت تاريخي الكبير .. فقدت نفسي .. فقدت رودلف هيس ! !

لذلك ازددت فقدانا للشهية .. وفي لحظة .. قررت الا اتناول طعاما بالمرة ! ! .. فجاءني قائد السجن ليقول لي :

ـ نحن على استعداد لكي نقدم لك الأنواع التي تريدها من الطعام .

ـ لن اتناول اى طعام من عندكم لأن طعامكم مسموم .. قطعا ستتخلصون من حياتي قريبا .. أو ستدسون في الطعام عقاقير معينة تجعلني أفقد سيطرتي على البقية الباقية من أعصابي وافشي كل أسرار الدولة الألمانية .

لذلك حرص قائد السجن على ان يتناول معي الطعام كل يوم ! ! .. كانت تحضر الصينية ، ويضعها القائد امامي ، ويتركني اختار الكمية التي اريدها ، ليأكل هو الكمية الثانية .. وازدادت شكوكي أكثر بدرجة انني كنت أصر على أن نأكل سويا من طبق واحد !!



ثم رأيت تطورا غريبا .. كان الحرس في السجن الجديد يبدو غريبا للغاية في نظري .. حتى خيل الى أن هناك مؤامرة لتدميري عقليا وبدنيا .. لذلك طلبت من قائد السجن تغيير هذا الحرس فورا ..

ـ لماذا ؟ ؟ ! (هكذا سالني قائد السجن باستغراب) .

ـ انهم ادوات غير واعية لمؤامرة سرية يدبرها اليهود ضدي .

وضحك القائد .. وأمر بتغيير الحرس .



وفى يوم ١٥ يوليه ١٩٤٣ لم أستطع أن أنام لحظة .. فضغطت على الجرس فى الثانية صباحا ، وهرول الحارس قادما .. فقلت له :

ـ استدع قائد السجن حالا .. أنا أكاد أجن .. ان عينى لم تغف لحظة .

وحاول القائد أن يعطينى حبوبا منومة ، ولكنى كنت على يقين أن شيئا ما قد دس لى فى الطعام لكى تتنبه أعصابى طول الليل ، ثم أطلب حبوبا منومة فى عز الليل ، فيعطوننى حبوبا سامة وأموت .. فرفضت هذه الحبوب .. فقال لى قائد السجن :

ـ ليس هناك أى شىء دس لك فى الطعام .. والدليل أننى تناولت عشائى معك .. واستطعت أن أنام ..

ـ نعم تناولت عشاءك معى ، وتنبهت أعصابك فتناولت حبوبا منومة ونمت .. أما أنا فقد أعدوا لى حبوبا سامة .. أنا لا أكره الموت ولا أهرب منه .. ولكن لا أريد أن يقتلنى عدو .. أنا أقتل نفسى من أجل بلدى ! !

ولا أدرى ماذا حدث فى هذه الليلة بعد ذلك بالضبط .

ـ كل ما أذكره .. اننى فى الساعة الرابعة صباحا .. نهضت من السرير .. ووقفت فى وسط الحجرة وقد تقمصتنى كل شياطين الأرض .. ولبست بدلة ضابط الطيران الألمانى .. وطلبت استدعاء الدكتور هنرى ديكسى فورا ، وحضر صديقى الدكتور ديكسى ، وطلب منى تناول الحبوب المنومة فأيقنت أن المؤامرة محبوكة الأطراف .. والا فلماذا حضر الدكتور بهذه السرعة ، ليطلب قبل أى شىء آخر أن أتناول نفس الحبوب ؟!

وهنا دفعت الدكتور ديكسي بعيداً عن طريقي .. وكان واقفا بيني وبين باب الحجرة ، واندفعت أجرى ، وقد تملكني شعور غريب باليأس .. وبكل قوة هرولت عبر الدهليز .. ولا ادرى لماذا رأيت في لحظة أن أقفز من فوق « الدرابزين » ليرتطم جسمي بالارض بقوة .. وهنا شعرت أنني تحطمت فعلا .. ساقي أصبحت في حاجة الى الجبس .. وضلوعي تكسرت .. وتصاعدت التأوهات رغما عني .. وظللت مستلقيا على الأرض لا أستطيع الحراك .. حتى وصل الدكتور ديكسي .. فقلت له بصوت خافت :

ـ أعطني حقنة مورفين من فضلك يا دكتور .

وحملني الحراس الى فراشي .. وأنا اصرخ وأصرخ من شدة الألم .. وبدأت اجراءات الجبس . ولكنني اكتشفت فجأة أنني لا أستطيع أن أتبول .. فصرخت :

ـ النجدة .. النجدة ! !

فلما أرادوا أن يستعملوا معي طريقة « القسطرة التقليدية .. صرخت في وحشية :

ـ ابعدوا عني ..

فاقترح الطبيب استخدام أنبوب من المطاط ، طلبه بالتليفون من العيادة الخارجية .. ولكنني رفضت أي شيء .. وكل شيء .. وظللت أتمرغ على السرير ثم على الأرض .. وكان الدكتور ديكسي لم ينم في الليلة السابقة لذلك مر عليه ٣٦ ساعة بلا نوم اطلاقا .. فانحنى على لائما .. كما يفعل الأب مع طفل عنيد .. وقال لي :

ـ الا تخجل من نفسك ؟ .. انك الرجل الثاني في الرايخ الألماني .. هل هكذا يصح أن تولول كالأطفال أمام رعايا دولة معادية ؟ ؟ .. هل يصح أن تجعل نفسك موضع سخرية هؤلاء ؟ ؟ ..

وقد كانت هذه الكلمات مثل مبضع الجراح .. كأنه فتح « دملا » كبيرا في راسي .. فسلمت له أمرى تماما .. وظللت محملقا في السقف كالابله ..

وقد كتب الدكتور ديكسي تقريرا طبيا رفعه لتشرشل قال فيه :

« ان هيس أصبح شخصا مهزوزا عصبيا سوداويا مصابا بالبارانويا .. وكل هذه مجرد كلمات من الصعب جدا أن أقرر على أساسها على وجه القطع بجنون شخص ما » .



وفي ٢ يناير سنة ١٩٤٣ أرسلت خطابا لزوجتي « الزى » اقول لها فيه :

« عزيزتي مامي الصغيرة ...

مرت عدة ساعات وأنا جالس في مكاني أفكر فيما اكتبه اليك .. ولكنى لم أستطع ان اتقدم خطوة واحدة .. فقد فقدت ذاكرتي تماما الآن .. كل الماضي تلاشى خلف ستار كثيف من الضباب .. ولم أعد أذكر حتى أبرز الأشياء » ..

وقد تأكدت من أن خطاباتي تمر اولا على رقيب بعد هذا الخطاب بالذات ..

فقد حضر في اليوم التالي لارسالي هذا الخطاب طبيب نفساني اسمه الدكتور جونز .. وكشف على .. وقرر ان فقداني للذاكرة له طابع هستيرى .. وممكن علاج هذه الحالة عن طريق حقنة اسمها « بانتوثال » في الوريد .. ولكنى اعترضت بشدة .. فانصرف الطبيب .. وعاد ومعه مندوب من وزارة الحربية يهددني .. اذ قال لي :

ـ هر رودلف هيس .. نحن نعاملك كأحسن ما تكون المعاملة .. وارجوك أن تتذكر جيدا ماذا كان يمكن ان يفعله الجستابو

الألمـانى مـع أى وزير بريطانى يقـع فى الأسر .. لذلك ارجـو الا تضطرنا لتغيير المعاملة .. اطع الأوامر كلها .. لأنهـا كلها فى صالحك .

وهنا اسلمت ذراعى بخضوع ـ لم اكن اعرفه من قبـل ـ للطبيب الذى اعطانى الحقنة .

وساءت حالتى الصحيـة والنفسية بشـدة .. حتى ان كل علاج لم يكن ليفيدنى قط .. فرغم كل الحقن والحبوب والجلسات الكهربائية .. لم تتحسن حالتى .. بل ازدادت سـوءا .. كان العلاج الوحيد كما قرر الأطباء هو العلاج النفسانى .. اى الافراج عنى .. ولكن بريطانيا لم تكن مستعدة لمجرد التفـكير فى اعطائى هذا العلاج .. حتى لو كلفها الأمر أن أفقد عقلى بالكلية .. او أن افقد حياتى ! !



وكان يوم ٤ فبراير ١٩٤٥ يوما لا ينسى قط .

فقد استيقظـت مبـكرا فى ذلك اليوم .. وطلبت مقـابلة الدكتور جونز فورا .. وقلت له :

ـ عزيزى الدكتور جونز .. ان ذاكرتى اصبحت جيدة الآن .. ولكن عندى كلام خطير للغاية أريد ان اقوله .

ـ تفضل .

ـ ان اليهود قد توصلوا الى طريقة لتنويم الساسة مغناطيسيا دون ان يحس الساسـة باى تغيير فى شخصياتهـم .. وبذلك اصبح الجنس الآرى يحارب بعضه بعضا حتى كاد ان يفنى .

وبعد يوم صدرت التعليمات للدكتور جونز لكى يجـرى على اختبارا نفسيا .. وقد كتب الطبيب تقريرا بعد الاختبار يقول فيه !

« ان فكرة معينة ثابتة تمكنت من عقلـــه من قديم الأزل .. سيطرت عليه ، وأفقدته ارتباطه بالواقع تماما .. وهذا يحـــدث لكثير من المفكرين فى العالم .. ولعل هتلر نفسه يعانى من نفس الداء » ! !



وفى ظهر اليوم نفسه طلبت من أحــد السعاة أن يحضر لى سكينا لقطع الخبز .. فجاءنى بما أريد .. فقمت وارتديت ملابس الطيران الألمانى التى وصلت بها الى اسكتلندا .. ودخلت حجرة الجلوس .. وجلســـت فى أفخم كــرسى « فوتيل » . وطعنت نفسى فى جنبى الأيسر .. حيث أحدثت جرحا خطيرا غائرا .. ونزف الدم منى ..

كنت أريد باختصار أن أنتحر ، وأنا ألبس ملابس جيشى .. وبلدى .. انتحر وأنا مــرتد نفس البدلة التى قمـــت بها بأعظم محاولة من أجل انقاذ البشرية .

وعلى الرغم من شدة الألم فأنا لم اتأوه قط .. الى ان جاءنى شاى بعد الظهر .. فاكتشفوا أمرى .



الفصل العاشر

اليهود يحولون الشرفاء إلى أوغاد !!

منذ اربع سنوات لم اقابل مسئولا بريطانيا واحدا .. ولم اكن أتوقع أن يحدث ذلك .. فقد بدأ الخط البيانى للحرب يسير فى غير صالحنا .. انكسار الجيش الألمانى فى روسيا .. نزول قوات الحلفاء فى أوروبا لفتح أكثر من جبهة .. تقهقر المانى على طول الخط .. رغم البسالة الرائعة وقصص البطولة والفداء النادرة الحدوث .. ولكن المعنويات لا يمكن أن تقف وحدها مهما أوتيت من صلابة أمام القنابل .. سواء تلك القنابل المندفعة من فوهات المدافع ، أو تلك التى تسقط من الطائرات المحلقة فى السماء !!

لذلك كان غريبا أن يطلب مقابلتى شخص هام يوم ٤ يونيو سنة ١٩٤٥ ..

ترى من هو ؟ ؟ !

انه سفير سويسرا فى لندن .. جاء ليطمئن على .. ويعطينى هدية ثمينة .. مجموعة من الكتب الألمانية وبعض الملابس الأنيقة ؛ وشيئا من المأكولات التى حرمتنا منها ظروف الحرب .

ولم يشأ السفير أن يتحدث معى كثيرا .. كان كل ما يهمه هو الاطمئنان على صحتى .. ثم انصرف !!

واخذت افكر بعد ان انصرف الضيف الكبير .. ترى من اوفده ؟ .. هل اتصل به الرايخ لكى يطمئن على ؟ .. هل جاءنى بعد سلسلة من الاتصالات الديبلوماسية بناء على تعليمات من هتلر ؟ .. أو .. هل الفوهرر لا يزال يذكرنى رغم كل المصائب التى تحيط به ؟ ؟ .. هل هو فى حاجة الى الآن اكثر من اى وقت مضى ؟ ؟ .. هل هو يريد ان يعرف مكانى بالضبط الآن ليقوم بمغامرة أخرى لخطفى ؟ ؟ .

لم تكن الهدية ـ رغم انها قيمة ـ لها اهمية عندى .. فلم تكن نظرتى للحياة مادية فى يوم ما ..

ولكن الزيارة كانت لها مغزى اعمق من هذا بكثير .

اذن يجب أن أتفاءل .. وانتظر حدثا هاما .. أو فرجا قريبا ! !



ووجدت فى نفسى رغبة شديدة فى قراءة الكتب .. ثم وجدت ميلا للكتابة لزوجتى .. « الزى » .. فكتبت لها خطابا طويلا جدا .. قلت لها فيه :

« عزيزتى مامى الصغيرة ..

« اليك هذا الخبر السار .. لقد عادت الى ذاكرتى مرة أخرى .. وكان الأطباء هنا فى تشخيصهم لمرضى على صواب تماما .. ان الطب فى بريطانيا تقدم مثل الطب عندنا !! ..

« وانا أقرأ الآن فى مؤلف كونراد جونتر واسمه « ناتولين » ـ اى الطبيعة ـ وقد وجدت فى هذا الكتاب فقرة اشعر انها تنطبق على تماما .. الفقرة تقول : « ان عمل الرجل العظيم لا تؤتى ثمراته الا بعد وفاته ، لأن الحاضر لا يمكن أن يلم به أحد » وهل يمكن أن تكون هناك أى بطولة أعظم من السير بلا تردد فى

طريق مهمة جليلة يضعها المرء نصب عينيه منذ اللحظة الأولى .. حتى لو بدا الطريق الذى اختاره أحيانا مغلفا بالضباب والتيه .. أو حتى لو أصبح الطريق كله مسيرة من الألم والعناء ...

« وحياتي - يا الزى - في السجن مثل الماء .. بلا طعم ، وبلا لون ، وبلا رائحة .. ولكن لا بد منها ! ! .. واذا قلت لك انني سعيد أكون كاذبا .. واذا قلت لك انني غير سعيد ، فالعالم كله كذلك ، وربما كانت درجة تعاستي مخففة عن أناس كثيرين ..

« معاملتي هنا لا أقول انها سيئة .. ولا حسنة .. كل طلباتي مجابة .. ومع ذلك أشعر بشيء من العناد .. أنا مثلا لا أحب « الكارى » كثيرا .. ولكنهم يكثرون منه في الطعام .. ومن الأمثلة الأخرى انني كرهت سماع الراديو منذ تلك اللحظة التي سمعت فيها أنباء معركة ستالينجراد .. فاذا بالحراس يرفعون صوت الراديو عند اذاعة نشرات الأخبار .

« ومع ذلك فهناك عدد من الضباط من أبناء أحسن العائلات البريطانية أحببتهم كثيرا .. ونفس الشيء ينطبق على الطبيب والممرضات .. وحيث انهم لم يكونوا مجرمين اصلا ، لأنهم من الجنس الآرى . فان الفكرة التي واتتني هي انهم لا بد أن يكونوا من « المخبولين » ! ! .. على أى حال .. لم تكن لهم تصرفات شاذة .. ولكن ما لفت نظرى هو عيونهم التي كانت تبدو متغيرة من حين لآخر .. وهذه أول مرة في حياتي أعرف أن هناك عقارا معينا يمكن أن يضع شخصا ما في حالة جنون مؤقتة ! !

« ثم طرأت لي فكرة أخرى .. ان هؤلاء القوم قد نوموا تنويما مغناطيسيا .. وقد عبرت عن هذا الشك للمسؤلين البريطانيين .. الذين قابلوا كلامي على أنه فكاهة غريبة ! !

« وساضرب لك مثلا على ذلك .. الدكتور جونز .. وهو طبيب على خلق كبير ، منحدر من عائلة ارستقراطية .. أبدى اعجابه

بآرائي الاشتراكيـة .. وناقشـني في برنامج الحـزب الوطني الاشتراكي الألماني « النازي » .. ولشد عجبي حين وجـدته قد قرأ بامعـان النسخـة الانجليزية من كتاب « كفاحي » .. كانت عيناه في اليوم الأول تبدوان صافيتين . وكان متزنا تمامـا .. ولكنه حين عـاد في صباح اليوم التالي كان قد تغير تمامـا .. ولاحظت عينيه « الزجاجيتين » الفائبتين عن الوعي ! ! .. وعندئذ لم يعد هناك مجال للشك في أن هناك مـادة كيمائية سرية تحول الناس الشرفاء الى أوغاد ! ! .. واذا لم يكن هناك شيء مادي مثل هذه المادة الكيمائية ، فلا اقل من التنويم المغناطيسي !!

ان اليهود ـ يا الزي ـ وراء كل هذا ..

.. وقد تناقشت مع أطبائي في هذا الشـأن ، فقالوا لي ان « اضطرابي العقلي ناجم عن ضميري المتعب بسبب معاملة اليهود التي أعد مسئولا عنها » .

« فاجبتهم بأنه لم يكن من واجبي وأنا في السلطان أن أقرر الطريقة التي يعامل بها اليهود ، ومع ذلك ، فلو كان الأمر بيدي ، لفعلت أكثر من هـذا من أجـل حمـاية الجنس الآري كله ، بل والبشرية جمعاء من هؤلاء المجرمين « اليهـود » دون أن يقلقني ضميري أبدا .

« ولكي تعرفي أثر اليهود في ملاحقتي .. سأروي لك هـذه القصة :

« .. أردت ان أشغل نفسي ببعض النشاط الجاد ، فبدأت في ترجمة كتاب بالانجليزية الى الألمانية ، ولـكن لم يمض وقت طويل حتى لاحظت أن الأدوات التي استخدمها في هذا العمل ، وهي بالذات قاموس انجليزي ألماني قد بدأ يبلى بسرعة تزداد يوما بعد يوم !! وتجعله غير صالح للاستخدام !! .. لذلك أعلنت انني توقفت عن الترجمة ـ حتى يكف اليهـود عن سحرهم ـ ولكني

Keine Injektionen mehr!
Die ersten Injektionen
haben das Gedächtnis in
keiner Weise gebessert
das eine große
Nervosität hervorgerufen
Bei Beantwortung der
während der Experimente
gestellten Fragen hat
bewiesen daß das
Gedächtnis noch vorhanden
und nur vorüber-gehend
gestört ist. Die Ärzte
sind überzeugt daß er
Deutschland wiedererkennt.
Also keine Sorge und
Aufregung wenn das
Gedächtnis augenblick-
lich noch so schlecht ist
und Du sogar Personen
nicht wiedererkennst die
Du vorher schon einmal
gesehen hast.
Auf alle Fälle
Keine Injektion!

.. ووجدت فى نفسى رغبة شديدة فى قراءة الكتب .. ثم وجدت ميلا للكتــــابة لزوجتى (الزى) .. فكتبت لها خطابا طويلا جدا .. شرحت لها فيه دور اليهود .. وكيف انهم يستطيعون تحويل الشرفاء الى أوغاد ..

واصلت الترجمة سرا ، عندما اكون وحدى فى الحجـرة ، وقد تظاهرت أمام الكافة ان هذا القاموس لم تعد له أهمية عندى .. ومع ذلك استمررت استخدمه سرا لمدة ستة أشهر فلم تبد عليه علامات البلى طول هذه المدة .. حتى انتهيت من مهمتى » !!



كتبت هذا الخطاب فى يونيو ١٩٤٥ ..

وفى ٩ أكتوبر ١٩٤٥ .. جاءنى خبر لا يمكن تصديقه بسهولة .. قائد السجن يطرق الباب ليقول لى بلهجة حاسمة :

ـ غدا ستعود الى المانيا ..

ـ ماذا تقول ؟ ؟ ! (هكذا سألت دون ان اصدق ما سمعته).

ـ اقول الحقيقة .. عليك ان تحزم أمتعتك اليوم .. وتودع أصدقاءك هنا .

امضاء هيس على خطاباته الى زوجته

الفصل الحادي عشر

حالتي العقلية

حيرت العالم كله !!

لم اصدق نفسي .. يوم ١٠ إكتوبر .. وانا اصعد سلم الطائرة التي أقلعت بي الى المانيا .. حقيقة علمت انني في طريقي لساحة المحكمة .. ولكنها قطعا خطوة نحو الحرية .. فلا يمكن ان تدينني اي محكمة عادلة .. لقد اسرت طول مدة الحرب تقريبا .. فلا يمكن ادانتي بما يسمونه بجرائم الحرب النازية .. ثم ان الصحف كلها تؤكد انى مريض عقليا !! .. اذن مكاني الطبيعي هو احدى المؤسسات العلاجية بالمانيا لعلاجي ثم اخلاء سبيلي .



كان الوقت في ساعة متاخرة من الليل عندما وصلت الى سجن نورمبرج في المانيا فاستقبلني هناك الكولونيل « بورتون اندروس » .. وقال لي بلهجة حاسمة :

ـ عليك ان تخلع ملابسك كلها .. وتعطينا حاجاتك .. وترتدى ما نعطيه لك من ملابس .. هل هذا مفهوم ؟ ؟

ـ كولونيل اندروس .. كيف تتكلم بهذه اللهجة .. الا تعرف من انا ؟ ؟ ! !.. انني الرجل الثاني في الرايخ الألماني .. واذا كانت المانيا قد خسرت الحرب فانا اسير حرب عالي الرتبة لي معاملة خاصة ـ

ـ هنا لائحة يجب ان يخضع لها الجميع دون تمييز .. ولا تضيع وقتك في المنافسة (هكذا رد الكولونيل بجفاء سديد).

وانتابتني كآبة شديدة .. والأيدى الغليظة تتقاذفني لتعرى جسدى أمام الجميع ! !



وفي صباح اليوم التالي أجرى على كشف طبى شامل دقيق .. وجاء التقرير كالآتي :

« صحة رودلف هيس الجسمانية طيبة ولكنه يشكو من نقص في الوزن ، وهو يقظ وايجابي .. ولكن عملياته الفكرية ضعيفة بسبب قصور في ذاكرته .. فقد كانت اجابته على معظم الأسئلة : لا أعرف .. أو لا أستطيع أن أتذكر .. وهو يعاني من آلام في المعدة بسبب كثرة التفكير .. والتشخيص الدقيق لعلته في المعدة هو أنه رد فعل هستيرى بدون علة مادية أساسية .. ورغم حدة الألم في بعض الاحيان الا انه صبور ، يتحمل الالم بصبر غريب دون أن يتأوه . .وهى ظاهرة غريبة أيضا » .



وكنت عند مغادرتي سجن ميندیف كورت في ويلز قد أخذت كل قطع الشيكولاته والبسكويت والخبز والسكر والتوابل وأنواع الطعام الأخرى التي كانت عندى في الحجرة ، ووضعتها في طرد وأخذت الطرد معى في الطائرة .. ولكن ادارة سجن نورمبرج صادرت الطرد مني .. وبعد ثلاثه أيام جاءني مندوب السجن ليسلمني الطرد ، فرميته في وجهه ! !



وقد سببت حالتي العقلية حرجا شديدا لمحكمة نورمبرج العسكرية الدولية .. فمحاكمة نورمبرج ستكون محورا لاهتمام صحافة العالم بأسره. .لذلك كانت المحكمة مهتمة بحالتي جدا..

فاجتمعت خصيصا من اجلي .. وبعد مداولات طويلة اصــدرت القرار التالي :

« لا يمكن محاكمة متهم لا يستطيع أن يفهم التهمــة الموجهة اليه وغير قادر على الدفاع عن نفسه .. لذلك قررت المحكمة أن يجتاز المتهم رودلف هيس نائب الفوهرر هتلر اختبارين دقيقين للغاية : الاختبار الأول قبل المحاكمة لكى يقرر صلاحيته للظهور امام احكمة أم لا .. فاذا ما مثل أمام المحكمة وقررت المحكمة انه مذنب .. فانه يجب أن يجتاز اختبارا ثانيا على يد فريق من الأطباء النفسانيين والاجتماعيين يمثلون جميع الدول المتحالفة.». فلعل الفحص الكامل لعقلية أحد قادة الفاشيست يمكن أن يقدم مادة علمية لا تقــدر بثمن عن كيفية التفــكير النازى الذى أدى بالعالم كله الى هذا الوضع الذى نعانيه الآن » ..

ومنــذ يوم ٧ نوفمبر حتى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ حين بدأت المحاكمة .. ظللت تحت فحص طبى كامل .. لا يخلو من الطرافة والذكاء .. وانا هنا أنقل فيما يلي نص التقرير الذى كتبه أكبر الأطباء فى اربع دول كبرى عن حالتى الصحية والعقلية :

« فى يوم ٨ نوفمبر .. اطلعنا المتهم رودلف هيس على عدة فقرات مختارة من الصحف الألمانية التى تتحدث عنه وعن سائر زعماء النازى بكل سخط وقبح .. ليعرف كيف تدينه الآن صحافة بلاده .. وكان الظن انه قد يفعل او يقــول شيئا ما يدل على أن فقدان ذاكرته كان من باب الادعاء ، غير اننا ــ ونحن نراقبه من خلف ستار ــ نجمع على أن هــذا الشخص اما انه فاقد الذاكرة فعلا أو انه شخص محصن ضد أى انفعال .. والاحتمال الثانى اقوى عندنا !! ..»

« وفى يوم ١٠ نوكمبر اجلسناه فى حجــرة ثم ادخلنا عليــه اصــدقاءه الثلاثة الذين لم يرهم منــذ سنوات وهم : جورنج ،

وهوشوفير ، وروزنبرج .. فقد كان وثيق الصلة جدا بهؤلاء الثلاثة بالذات .. وبعد مراقبتنا له من بعيد وجدناه يحدق فى وجوههم بنظرة خالية تماما من اى معنى ، كأنما لم يرهم مطلقا فى حياته !!

« وفى ١٨ نوفمبر تعرض المتهم لبعض المناورات المفاجئة .. فكان يجلس وظهره للباب ، ثم فجاة يجد امامه سكرتيره الخاص الذى لم يره منذ خمس سنوات تقريبا .. فلا يبدو عليه اى تاثير ..

« ومع ذلك فنحن اطباء الدول المتحالفة نقرر صلاحية المتهم رودلف هيس للمثول امام المحكمة .. لأنه يبدو ان المتهم ليس مجنونا ، ولكنه قوى الانضباط النفسى ، مع شيء من الذكاء النادر .. وقد ظهر لنا ذلك من ثلاث حوادث نسردها فيما يلى :

■ فى يوم ١٤ نوفمبر عندما قام الطبيب البريطانى بتوجيه بعض الأسئلة له عن تجربته فى بريطانيا . بدا يجيب بالانجليزية ، ثم فجاة قرر انه لا يجيد الانجليزية ، ولا يستطيع أن يفهم سوى الأسئلة التى تقال له بالألمانية بواسطة مترجم .. وهذا دليل على انه شديد الذكاء .. لأن استخدام المترجم سيجعل الأسئلة المفاجأة تفقد قيمتها المفاجئة .

■ كان فى اجاباته يلجا دائما لعبارة لا يعرف أو لا يتذكر .. الا فيما يتعلق بالفوهرر هتلر ، فانه كان يجيب على كل الأسئلة الخاصة بالفوهرر اجابات مستفيضة لا تدل على فقدان الذاكرة ، وهذا دليل على أنه يعلم تماما أن الفوهرر غير موجود هنا ، فلا بأس من الكلام عنه ما دام لن يمثل أمام المحكمة .. وهذا دليل ذكاء وحضور بديهة !

■ ثم تلك الحادثة الصغيرة التى وقعت مع سكرتيره الخاص السابق تؤكد ما توصلنا اليه من قرار .. فقد اجاب على احد

أسئلة السكرتير بأنه لا يعرف .. فتقدم سكرتيره الخاص نحوه بتأثر شديد ، وناوله صورة لزوجته وابنه وقال له :

ـ انظر الى هذه الصورة لعلها تساعدك على التذكر .

فأزاح المتهم هيس الصورة بانفعال وهمس في اذن سكرتيره قائلا :

ـ لا اريد مساعدة منك الآن ايها الغبى .

لذلك نحن نرى ان نائب الفوهرر يستطيع ان يمثل غدا أمام المحكمة » .



وفى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ وقفت فى قفص الاتهام أمام محكمة نورمبرج العسكرية الدولية .. مع ٢٠ آخرين من زعماء الحزب الوطنى الاشتراكى الألمانى (النازى) .. وقفت فى قفص الاتهام بناء على هذا التقرير الطبى « الغبى » الذى وقعه ١٢ طبيبا !!

ومدينة نورمبرج مدينة المانية دمرتها قنابل الحلفاء بلا رحمة تدميرا رهيبا !! وحولت منازلها الجميلة الى أنقاض فوق أنقاض !! فجعلت منها مقبرة لآلاف الجثث !!

أما مقر المحكمة ، فكان قصرا حديثا اعيد ترميمه بل بناؤه خصيصا لهذا الغرض .. وكانت قاعة المحكمة فسيحة على شكل مستطيل .. جدرانها مغطاة بالخشب ، وستائرها من المخمل الأخضر ، وكانت الستائر مسدلة باستمرار بحيث تمنع ضوء الشمس من الدخول .. بينما المصابيح الكشافة القوية تعكس ضوءها باستمرار وبلا رحمة فوق رؤوسنا !! .. وعلى امتداد الجدران كانت هناك قمرات صغيرة مضيئة .. وكانت الأبواب والجدران عازلة للصوت تماما .. وفى مواجهتنا مقصورة مخصصة لـ ١٥٠ صحفيا ومصورا ومترجما فوريا .

وذات يوم سالت قائد السجن : اندراوس :

ـ هل سنمثل أمام المحكمة بملابس السجن ؟

ـ لا . سنعطيكم ملابس أخرى ..

ـ لكنى لن أمثل أمام المحكمة الا اذا ارتديت بدلتى الرسمية .. كنائب للفوهرر .

فأجيبت الى طلبى على شرط نزع النياشين والأوسمة من فوق صدر البدلة .. وكان ذلك له وقع فى نفسى أحسد سوءا مما لو لم ألبس أى شىء .. كنت أفضل الوقوف أمام المحكمة عاريا من أن ينزعوا النياشين من فوق صدرى ! !

ألم أقل لك أنهم كانوا يجيبوننى لكل طلباتى بشكل يثيرنى ويزيد من سخطى !! ..



وكان مسموحا لنا بزيارة طبيب وحلاق كل يوم ، وقراءة الصحف والكتب ، واخذ ما نريد من السجاير أو السيجار ، ونستطيع أن نطلب ما نريد من المشروبات .. كما كان مصرحا لنا بحضور قداس الكنيسة .

واذكر أن زعماء الحزب رحبوا جدا بحضور القداس ما عداى .. وقد فوجىء الحارس عندما رآنى داخل الزنزانة ولم أذهب للقداس .. فسألنى :

ـ هل أنت مسيحى أم بلا دين ؟

ـ يجب أن يكون الحارس مهذبا .. (هكذا رددت عليه) .

ـ لا تؤاخذنى .. أنا اريد أن اسالك عن ديانتك .. .

ـ أنا مسيحى ..

ـ اذن لماذا لم تذهب للقداس ؟ ؟

ــ ان هؤلاء الذين هرولوا الى القداس يخشون الموت .. أما أنا فلا أخافه .. بل أرحب به .



وفى صباح يوم ٢٠ نوفمبر .. الصباح الباكر جدا .. قرأت صحف الصباح وكانت تقول :

« ان هؤلاء الذين تسببوا فى مصرع ملايين الأبرياء من البشر فى جميع أقطار العالم نتيجة لأفكارهم السياسية والفلسفية التى تبنوها .. يقفون اليوم أمام عدالة القضاء .. ليقول فيهم كلمته الفاصلة » .

كنت تعسا للغاية بعد قراءة هذه السطور ، وغيرها من المقالات قبل مثولى أمام المحكمة .. وتساءلت : هل بعد نصف قرن من التحصيل والعلم والدراسة والتعمق فى النظريات العويصة من أجل عالم أفضل .. هل يكون هذا مصيرى .. ألم يكن الأجدر أن يستقيل تشرشل وتنجح مهمتى ؟ ! !

وجلست فى قفص الاتهام بجوار هرمان جورنج ، ويواكيم فون روبنتروب ، وجوليوس سترايتشر ، والفريد روزنبرج .. جلست جامد الوجه .. شارد الفكر .. عيناى تحملقان فى لا شىء .. كان الكل حولى يعتقدون اننى أتصنع الجنون ، ولكن الحقيقة ان مقالات الصباح دفعتنى لمعاودة تقييم نفسى .. وتاريخى .. وحياتى .. ولا تهمنى تلك التهم التى وقف ممثل الاتهام يتلوها وهى :

١ ــ التآمر أو الاشتراك بصفتهم قادة أو تابعين فى ارتكاب جرائم ضد السلام .. عن طريق التخطيط والاعداد للحرب .. ثم اشعالها .. ثم الاستمرار فيها .

٢ ــ ارتكاب جرائم الحرب بما فيها جرائم القتل والارغام على أعمال السخرة وقتل الاسرى والرهائن .

٣ ـ ارتكاب جرائم ضد الانسانية جمعاء .. مثل القتل الجماعى والابادة على أساس الاضطهاد العنصرى والسياسى والدينى .



وكانت محكمة نورمبرج هى اول محاولة جادة من الانسان لتجريم الحرب على النطاق العالمى .. ولعل هذا هو السبب فى ان كثير من اجراءاتها كانت معقدة .. وربما فى حاجة الى بعض النضوج .

ولكن لى ملاحظة .. بسيطة :

الم يكن هناك بين الحلفاء من ارتكب بعضا وربما الكثير من هذه الجرائم ؟ ؟

الا تزال كل هذه الجرائم ترتكب ـ وربما بصورة أفظع وابشع ـ ترتكب اليوم بعد ٢٥ سنة من انتهاء الحرب .. وفى اماكن كثيرة من العالم ؟؟

ام ترى ان هناك شرطا خفيا ـ ولكنه هام ـ لم تشر اليه محاكمات نورمبرج .. وهو ان مجرم الحرب لا يمكن ان يكون مجرما الا اذا كان مجرما مهزوما ؟ ؟ ! !



الفصل الثاني عشر

حينما واجهت المحكمة بكل صراحة..

منذ اللحظة الأولى لبدء محاكمة نورمبرج قررت أن اتخذ موقفا معينا لا احيد عنه !

لم اكن حريصا فى يوم ما على حياتى .. فما هو اقسى حكم ؟ .. الاعدام مثلا .. لا يهمنى الموت .. بل ارحب به ! !

لذلك قررت اتخاذ موقف التجاهل التام وعدم المبالاة .. وذلك على عكس زملائى اعضاء الحزب النازى المتهمين معى .. كانوا هم أحرص ما يكونون على الحياة .. وكنت أنا لا أرفض الحياة طبعا ، ولكنى غير حريص عليها .. الحياة عندى بلا كرامة كالموت تماما ! !

لذلك كنت أجلس فى قاعة المحكمة مسندا ظهرى الى المسند الخلفى للدكة التى نجلس عليها ، بينما جلس الزملاء فى وضع تحفز وقد اشرأبت اعناقهم ، ومالت صدورهم الى الأمام ..

بل اكثر من هذا .. أنى لم أستخدم قط السماعات التى تتيح لى متابعة كل ما يقال مترجما الى اللغة الألمانية .. ولذلك لكزنى جورنج بكوعه .. وسألنى :

- الم تسمع ما يقال ؟ ؟

ـ فقلت له !

ـ انا لا اعترف اصلا بشرعية المحكمة ! !

فنظر الى جورنج باستغراب .. ثم صمت .



لذلك كانت الجلسة مملة جدا بالنسبة لى .. وكان هذا سبب السبب فى انى حرصت على أن أحضر معى فى اليوم التالى قصة بولسية .. أخذت اقرؤها بامعان واستغراق .. حتى اننى كنت لا أحس تماما بكل ما يدور حولى .

وقد استفز هذا التصرف كل زملائى من قادة النازى الذين عقدوا العزم على الكفاح حتى النفس الأخير لانقاذ رؤوسهم .. لذلك اتصلوا بالدكتور « فون روهرشيدت » .. وهو المحامى الذى انتدبته المحكمة للدفاع عنى .. وقالوا له :

ـ يجب أن نتفق جميعا على خطة واحدة لمواجهة المحكمة .

فقال لهم المحامى :

ـ ان موكلى هيس قرر عدم الاهتمام باجراءات المحاكمة .. فهو لا يعترف بهـا اولا .. ثم هو مقتنع تمامـا مائة فى المائة ان الحكم سيكون بالاعدام لجميع قادة النازى .



وفى الجلسة الثالثة ، بينما كنت منهمكـا فى تكملة القصـة البوليسية المسلية جـدا التى كانت معى ـ وعـادة تحلو قـراءة القصص من منتصفها حتى نهايتها .. وتزداد حلاوة وطلاوة كلما اقتربت من النهـاية .. لذلك غاظنى القـاضى البريطانى « لورد لوتس » رئيس المحكمة ، عندما رفع صـوته أكثر من اللازم .. وقد اتجه بوجهه نحوى .. كأنه يوجه الكلام لى .. وهو يقول !

ـ الدفاع عن المتهم رودلف هيس .

فنهض الدكتور « فون روهرشيدت » .. وتقدم نحو المنصة

... كنت أريد أن أكمل الرواية التى معى .. فهى خير مما سيقوله هذا المحامى .. ولكنى رأيت ان ما يجرى امامى الآن ايضا لا يعدو أن يكون مسرحية فكاهية .. مسرحية حية .. اذن فلا مانع من أن أشاهدها .. أو أشاهد فصلا منها على الأقل .. فطويت القصة موقتا .. لأسمع الدكتور « روهر شيدت » يقول :

ــ اذا سمحت لى المحكمة .. فأنا حاضر عن المتهم رودلف هيس .

فهمهمت قائلا :

ــ لا بد انه مخبول .. محام .. لماذا ؟ !

ثم سمعت « روهر شيدت » يواصل دفاعه فيقول :

ــ أن على المحكمة أن تقرر أولا .. هل المتهم صالح للمثول امامها ام لا ؟ ؟ .. هل هناك ظروف قائمة ترفع عنه المسئولية تماما ام لا ؟ ؟ ..

وفى رأيى الخاص أن المتهم فى حالة لا تسمح له بالمثول امام المحكمة .. لأنه فى حالة عقلية لا تسمح له بأن يقول وهو فى كامل قواه العقلية هل هو مذنب أم غير مذنب .. وهذا شرط للمثول أمام المحكمة .. لذلك فانى أطالب أولا بوقف محاكمة موكلى هيس موقتا .. فاذا لم تشأ عدالة المحكمة اجابة هذا الطلب ، فانى أطالب باحالة هيس الى الفحص الطبى الشامل على ايدى خبراء متخصصين ليقولوا كلمتهم فى هذا الشأن .

ومضى المحامى فقال :

ــ واحب بهذه المناسبة ان اقول ان المتهم نفسه يعتقد انه فى حالة تسمح له بالمثول امام المحكمة ، ويريد ان يقول ذلك بنفسه أمامكم ..

فقلت لنفسى :

ـ من قال له اننى اريد أن اتكلم اصلا أمام المحكمة .. كل ما قلته له اننى لست مجنونا .. بل هم المجانين .. فلما قال لى ان هذا الكلام لا يضرنى ولا ينفعنى .. قلت له : أنا مستعد لأن اقول هذا الكلام للمحكمة نفسها .. فهل يريد منى أن أقول لهم انهم مجانين .. يبدو ان هذا المحامى مجنون ايضا ! !

ثم سمعت المحامى .. وهو يستطرد قائلا :

ـ ان الجرائم التى يطالب المتهم بالمسئولية عنها جرائم بالغة الخطورة .. ومن المتوقع جدا أن يكون الحكم فيها بالموت .. ولكن هذا يتعارض مع العدالة اذا قرر الاخصائيون أن المتهم عاجز عن الدفاع عن نفسه .. أقول هذا رغم أن المتهم مصر على أن يحضر ويحاكم ويصدر الحكم ضده .. وانا اتخذ كلامه هذا دليلا ضده .. دليلا ضد قواه العقلية القاصرة عن ادراك مدى خطورة الموقف .

وهنا نهض ممثل الادعاء البريطانى سير ماكسويل دافيد .. وقال :

ـ اذا سمحت لى المحكمة .. المسالة هى ما اذا كان المتهم قادرا على أن يفهم ما يوجه اليه من تهم أم لا .. ثم استطاعته ابداء رأيه فى التهم الموجهة اليه .. واعتقد أن تقرير الأطباء الدوليين يؤكد انه يستطيع المثول أمام المحكمة .

وهنا قال رئيس المحكمة :

ـ يبدو أن المدعى الأمريكى جاكسون عنده كلام يريد أن يقوله :

فوقف جاكسون ببطء ، ليتحدث بكلمات بطيئة ثقيلة .. وكان بودى أن أقول له : « اسرع انى اريد أن أكمل القصة التى معى فهى خير منك » ؟ !

ــ واخيرا بعد أن نفد صبرى .. قال :

ــ ان المتهم فى كامل قواه العقلية .. واذا كان يعانى من حالة هستيرية خفيفة فلها علاج حاسم .. وقد قرر اكبر أطباء العالم أنه صالح للمثول أمام المحكمة ، خصوصا اذا تم هذا العلاج .. ولكن المتهم يرفضه بشدة .. رغم أهميته .. ولكن رفضه للعلاج لا يمنع أن حالته تسمح له بالمثول أمام المحكمة .



ثم ساد القاعة صمت رهيب .. قطعه رئيس المحكمة بقوله :

ــ دكتور روهرشيدت

ــ نعم ..

ــ ان المحكمة تود لو وافقتم أن يدلى المتهم هيس نفسه برأيه فى هذه المسالة .

وهنا رمقنى المحامى بنظرة استفسار خاطفة .. ثم قال :

ــ انا كمحام لا يوجد لدى بالطبع اى اعتراض .. ولكن أعتقد ان هذا يرجع الى رغبة المتهم شخصيا .



وهنا اتجهت الأنظار كلها نحوى .. حتى عدسات الكاميرا .. وعدسات الكاميرا هى عيون العالم خارج القاعة .. فرسمت ابتسامة ساخرة على وجهى .. ونهضت بكل ثقة .. وبنفس الطريقة التى كنت أقف بها أمام اجتماعات النازى الضخمة وقفت أمام الميكروفون .. وأخرجت من جيبى بيانا كنت قد كتبته منذ أول يوم وصلت فيه الى نورمبرج للدفاع عن نفسى .. غير أنى كنت قد قررت الاقلاع عنه .. ولكن ما الحيلة ؟ .. لا بد أن أقرأ الآن هذا البيان فوق رؤوس هؤلاء الجبناء ! ! .. ما داموا يصرون على ذلك .. وقد خجلت من شىء واحد فقط .. ان المظروف الذى به البيان كان قد بلى تماما .. وأصبح قذرا

مهلهلا .. وكان اخراج هذا المظروف من جيبى موضع استغراب الجميع .. ثم وضعت بكل هدوء القصة التى كانت فى يدى فوق المنضدة أمام القضاة .. وقد تركزت العيون على هذه القصة .. كأنهم يقولون : « حقيقة انه مجنون .. يقرأ قصة بوليسية اثناء اخطر محاكمة فى حياته » ..

وهنا قطعت الصمت الذى ساد القاعة حينما قلت :

ـ سيدى رئيس المحكمة .. لكى اقطع كل شك بيقين فى مسألة صلاحيتى للمثول أمام المحكمة أود أن أدلى أمامكم بهذا البيان ... مع انى كنت قد اعتزمت عدم الادلاء به ..

ثم توقفت لحظة عن الكلام .. وعاد الصمت الرهيب مرة اخرى يسود القاعة . ثم استطردت قائلا ـ بصوت واضح ، قوى النبرات ، كأنى اخطب فى اجتماع سياسى عام .. ذكرت للمحكمة حقائق لم تكن تعرفها من قبل .. قلت :

ـ قضاتى أعضاء ((هذه)) المحكمة !! .. أحب أن أؤكد لكم ان ذاكرتى قد عادت لى من جديد .. وفى الواقع ان ذاكرتى كانت قد غابت اياما قليلة منذ زمن عندما كنت فى جنوب ويلز ، وذلك بسبب حالة هستيرية معينة .. ولكن ذاكرتى عادت مرة اخرى قبل حضورى الى هنا .. اما ادعائى فقدان الذاكرة من قبل عند وصولى الى هنا فقد كانت له اسباب تكتيكية . ولكن كل ما اعانيه الآن هو ان قدرتى على التركيز قد انخفضت قليلا . وهنا علاج لهذه الحالة ، ولكنى فى غنى عن هذا العلاج الآن .. لا اريد ان تعود قدرتى على التركيز اثناء هذه المحاكمة !!! ..واحب هنا أن أقرر أمام المحكمة وانا بكامل قواى العقلية أننى مسئول مسئولية كاملة عن كل قرار اتخذته طوال المدة التى توليت فيها السلطة فى الرايخ الالمانى .. واحب ان يكون مفهوما ان هذا البيان الذى ادليت به الآن لا يعنى أى تغيير فى موقفى ، فيما

يتصل بعدم اختصاص هذه المحكمة أو عدم اعترافى بها .. كذلك اود ان اقرر هنا اننى فى جميع لقاءاتى مع محامى الدفاع كنت متمسكا بالنسيان وفقدان الذاكرة .. وبالتالى فان المحامى كان يقول ما يعتقد انه صدق عندما اكد لكم الآن انى لا أصلح للمحاكمة .. رغم اننى حذرته من هذا الكلام .. لاننى مصر على ان احضر المحاكمة بجسدى فقط دون عقلى .. لتصدروا ما تشاءون من أحكام !!

ثم وقفت وقفة عسكرية .. ورفعت يدى مؤديا التحية النازية المعروفة باسم ((هايل هتلر)) .



واغلقت المظروف .. وطويته ووضعته فى جيبى .. وساد الصمت الرهيب لحظة .. ثم بدات همهمات كثيرة .. بدات تزداد حتى ضجت القاعة كلها بالهمس والحركات ذات الصوت .. بينما عدت أنا الى مكانى رافع الراس ، مبتسما لاقصى حد ، فخورا بنفسى ، وقد تملكتنى « نرجسية » وتيه وتعال لم اشعر به الا أيام الحكم ..

.. كنت أريد هذه الفرصة لكى اقول للعالم كله رايى فى محكمة هذا العالم .

.. كل هذا والضجة ترتفع حولى رويدا رويدا ... فى قفص الاتهام ، وفى القاعة . وفى مكان الصحفيين..حتى المترجمين تركوا سماعاتهم وبداوا يتكلمون .

.. وعبثا حاول القاضى ان يعيد الهدوء الى القاعة .. ظل يضرب بالشاكوش الخشبى عدة مرات على المنصة بعصبية وهستيرية ... ولكن صوت الشاكوش ضاع وسط هذا الضجيج .. وفى الوقت نفسه تقدم المحامى الدكتور روهر شيدت

الى المنصة ليتكلم .. والقاضى يطلب منه العودة الى مكانه ، وهو يقول :

ـ لم آذن لك بالكلام ..

والمحامى يصرخ وسط الضجيج ويقول :

ـ سيدى الرئيس ... انا مصر على ان هيس غير صالح للدفاع عن نفسه .. وارجو رفع كل كلام قاله من محضر الجلسة !!

ـ أرجوك .. أرجوك . هدوء .. هدوء . « هكذا كان يقول الرئيس ، ولكن المحامى كان يواصل كلامه »

ـ سيدى الرئيس..ان هذا البيان دليل على صحة ما اقول .. ان قوى موكلى العقلية غير صالحة للمثول امام المحكمة .. ولكن الرئيس قال بحزم :

ـ السيد المحامى يعود الى مقعده فورا ..

وعاد المحامى .. وقبل ان يجلس قال رئيس المحكمة بنرفزة :

ـ رفعت الجلسة ...

وكان هذا هو الحل الوحيد لهذا الموقف ..



وهنا التفت الى جورنج وسألنى :

ـ ما رأيك فى كلام المحامى الدكتور فون روهرشيدت ؟؟

ـ مغفل .. مثل الـ ١٢ طبيبا عالميا الذين حضروا من اربع دول كبرى ... !!

ـ ولكنه يريد انقاذ حياتك باى ثمن .. ياله من محام

ـ كل هذا لن يفيد .. انتظر حكم الاعدام ياهرمان ..

وجورنج اسمه بالكامل هرمان جورنج .. وكنت متعودا مناداته باسمه الاول منذ ايام الحرب الاولى قبل ان نتولى السلطة » .

فقال لى جورنج .

ــ انت شديد التشاؤم ..

ــ بل انا واقعى ..

ثم قلت لجورنج :

ــ قل لى هرمان .. ما رأيك فى البيان الذى القيته .. ؟!

ــ أعجبتنى طريقة الالقاء فقط .. لقد ذكرتنى بطريقتك فى الخطابة فى اجتماعات الحزب الكبيرة وانت تقف مرفوع الرأس شامخ الأنف .. تقول ما تعتقد انه حق .. اما طريقتك فى الدفاع عن نفسك فلا تعجبنى ..

اما ريبنتروب .. فقد ضرب كفا على كف .. وقال لى :

ــ رودلف ... انك لم تعرفنى عندما قابلتك اول مرة .. هكذا بدا لى وانا اتحدث اليك عندما التقينا هنا .. رودلف انك اول شخص فى الوجود يستغفلنى بهذا الشكل !

وبينما نحن وقوف هكذا فى بهو السجن .. فى انتظار ان يدخل كل منا زنزانته .. جاء احد الحراس الامريكان ــ وبهيافته المعروفة ــ امسك بورقة مالية من ذات الدولار ، وأخذ يجمع توقيعاتنا جميعا .. كان يريد ان يجمع توقيعات ٢١ من زعماء النازية .. وعندما جاءنى فى اول الامر ازحته بيدى بعيدا .. فظل يجمع توقيعات الأخرين .. الى ان جاءنى اخيرا .. ومعه دولار عليه توقيعات ٢٠ من زعماء النازى .. وقال لى :

ــ لم يبق سوى توقيعك

فأخذت منه الدولار ، ومزقته قطعا صغيرة جدا جدا . وقلت له :

ــ ان توقيعات هؤلاء الزعماء غالية جدا جدا .. كل توقيع يساوى مليون جنيه .. لا دولارا واحدا !!

وهنا بلغ الغيظ بجورنج اقصى حد .. وسمعته وهو يقــول لروزنبرج وريبنتروب ونحن وقوف :

ــ أنا طول عمرى اعتقد ان هيس غير طبيعى .. وهــو غير طبيعى بسبب قراءاته الكثيرة ، واعتقاداته الخرافية التى حشىا هوشوفير رأسه بها .. وطول عمرى اقول هذا الكلام للفوهرر . وكان يوما أسود حينما غزونا بولندا .. وأصدر الفوهرد قرارا باعتبارى نائبا اول وهيس نائبا ثانيا .. واذكر الآن جــيدا ذلك الحديث الذى دار بينى وبين الفوهرر حينما قلت له : ((أنا أشك كثيرا فى صلاحية هيس لهذا المنصب الخطير)) .. ولكن هــتلر قال لى : ((ان هيس هو اقدم اصدقائى واقدم زملائى فى الحزب ولابد ان اكافئه على سنوات كفاحه الطويلة)) .. وظللت معترضا بشدة على تولى هيس منصب النائب الثانى .. ولــكنى ارحت نفسى من هذا الموضوع باعتبار انه اذا حدث مكروه للفوهرر سأتولى انا الزعامة .. وهنا تكون لى حرية اختيار نائبى الأول ..

ولكن ستبرايتشر ... حاول ان يوفق بين الجميع .. فقال :

ــ ان هيس رجل متعلم لدرجة عالية .. وهو خجول وهادىء وعنيد .. يحس باستمرار بمركب نقص امام الطبيعة الديناميكية التى يتميز بها هتلر وجورنج .. وربما هذا الشعــور بالنقص بالذات هو الذى دفع هيس الى القيام برحلته الى انجلترا ليصبح بضربة واحدة اهم رجل فى العالم ... اهم من هتلر نفسه .

وكنت اسمع كل هذا ، وغيره .. وانا ابتسم بســخرية .. فسألنى روزنبرج :

ــ ما رأيك فى كل ما قيل عنك الآن يارودلف ؟

فقلت له :

ــ يظهر ان عدد المجانين ازداد بعد الحرب !!!

واخيرا .. زمجر قائد السجن كولونيل اندراوس :

ــ كل الى زنزانته ..

وكان بدروم القصر الذى تعقد فيه جلسات المحكمة قد حولوه الى سجن .. وكان كل منا يعيش فى زنزانة منفردة .. وقد كتب اسمه على باب الزنزانة .. ولم تكن انوار الزنزانة تطفأ ابدا .. وكان المفروض على كل منا ان يتمدد فى مواجهة الباب . واذا نام يجب ان تكون يداه خارج الملاءة البيضاء .. ورغم عدم وجود اى شىء داخل الزنزانة يمكن استخدامه فى الانتحار الا ان الحارس كان يصرخ اذا ادخل احدنا يده تحت الملاءة !! .. وكان لكل زنزانة اربعة حراس يتناوبون الاربع والعشرين ساعة .. وكان كل حارس يطل طول مدة « نوبتجيته » من كوة معينة يستطيع ان يرى منها كل شىء ..

ومع ذلك .. فقد استطاع جورنج ان يفعل ما يريد .. ليفقد قائد السجن نفسه للمحاكمة ...



منذ اللحظة الاولى قررت اتخاذ موقف التجاهل التام وعدم المبالاة .. وذلك على عكس زملائى أعضاء الحزب النازى المتهمين معى .. كانوا هم أحرص مايكونون على الحياة .. لذلك لم أستخدم قط السماعات التى تتيح لى متابعة كل مايقال مترجما الى اللغة الالمانية

الفصـــل الثانى عشر

رحلتى أمـــام القضـاء

اعتذر لك ــ مقدما ــ اذ لم أستطع أن انقل اليك كل ما دار فى جلسات محكمة نورمبرج .. فقد كنت مشغولا بقراءة الروايات البوليسية المسلية !

ولكن هذا لا يمنع من اننى سمعت بعض العبارات التى ذكر فيها اسمى .. فهذه هى طبيعة البشر .. اذا سمع أحد شخصا يردد اسمه فلا بد أن يلتفت اليه !!

لذلك أذكر يوم ١٧ فبراير ١٩٤٦ حينما افتتح « مستر ميرفين جريفث جونز » الدعوى باسم بريطانيا ضد المتهم « رودلف هيس » .. واخذ يتكلم كثيرا ..

وقد لفت نظرى اتهامه لى بأننى أنا الذى أعددت للعدوان ضد النمسا وتشيكوسلوفاكيا .. ثم انا المسئول عن ارسال قـــوات العاصفة الالمانية الى بولندا لاكتساحها فى ساعات .. ثم أســند الى منصبا خطيرا .. وهو اننى الرئيس الاعلى لمنظمة « الالمانيين فى الخارج » التى كانت نواة لانشاء الطابور الخامس النازى فى معظم بلدان العالم فيما بعد ..

وقد سألت نفسى :

ـ هل من حق المدعى أن يعين أناسا فى مناصب جديدة فى دولة اندثرت وانتهت ؟؟ !! .. لقد اسند لى منصب الرئيس الاعلى

لمنظمة « الالمانيين بالخارج » وانني انشأت ما يسمونه بالطابور الخامس . ماذا كان يعمل جوبلز اذن ؟؟ .. أو لأن جوبلز انتحر يجب ان توزع « تركته » من التهم على « ورثته » الموجودين في القفص ؟؟ !

ـ ثم هل انا الذي اعددت لغزو النمسا وتشيكوسلوفاكيا . ثم ارسلت قوات العاصفة الى بولندا .. ماذا كان يفعل هتلر بل والرايخ كله اذن ؟؟؟



افقت من غفوتي على منظر المدعي جريفث ، وهو يلوح باوراق معه .. ويتحدث عن رحلتي الى انجلترا .. قائلا :

ـ انها ليست رحلة للسلام .. بل رحلة للحرب .. وانا اتكلم وتحت يدي الوثائق ..

واخذ يقرأ من بعض الأوراق التي امامه .. ويقول :

ـ تعالوا معي نقرأ ما هي الشروط الالمانية لعقد صلح مع بريطانيا : أوربا بأسرها تأخذها المانيا النازية الفاشستية ، مقابل ان تتعهد المانيا بعدم المساس بالمستعمرات البريطانية فيما وراء البحار ، تشرشل يطرد من الحكم ، ويعين بدلا منه رئيس وزراء بريطاني جديد ترضى عنه برلين .. ثم الشرط الاخير الذي استند اليه في اتهامي،وهو أهم شيء في عروض المتهم هيس على المسئولين البريطانيين .. هذا الشرط ينص على عقد تحالف عسكري بين المانيا وبريطانيا لغزو الاتحاد السوفييتي ، لانقاذ العالم الراسمالي كله من خطر الشيوعية ..

وما ان قال المدعي هذا الكلام الاخير حتى ارتفعت الهمسات .. هنا وهناك .. وظلت الهمسات تزداد وتزداد .. حتى اصبحت القاعة في شبه فوضى .. الكل غير مصدق هذا الكلام الغريب .. حتى من في قفص الاتهام انفسهم .. العشرون من قادة

النازى لم يكن أحدهم يعرف هذه الحقائق .. على وجه اليقين ، الا اثنان فقط .. هما جورنج وروزنبرج ..

وضربت كفا على كف ، وقلت لنفسي :

ـ يا لسخرية الاقدار !!

لقد كان هذا الكلام عندما ناقشه كبار المفكرين في مايو ١٩٤١ ـ وكانت يومها بريطانيا تتلوى وتنزف دما تحت وابل لا ينقطع من قذائف طائراتنا وكانت المانيا تسيطر على اوربا باسرها ، وتمسك بها بيد من حديد ـ كان هذا الكلام معقولا .. بل وعين العقل .. والآن .. والآن ، في نورمبرج عام ١٩٤٦ .. والمانيا مهزومة بلا رحمة ! .. وقادة النازى ـ الذين كانوا بالأمس سادة العالم ـ أصبحوا في قفص الاتهام .. الآن .. بعد خمس سنوات بين اطلال نورمبرج اصبح الكلام المعقول جدا .. الحكيم جدا .. اصبح يبدو مضحكا كانه نكتة لبعض المهرجين !!

ألم أقل أن المهزوم دائما مخطىء ، والمنتصر دائما على حق .. حتى او كان المنتصر مجرما ؟!!

كان هذا الموقف اقسى على نفسي من كل ما مضى .. هل هكذا تكون ((عصارة افكارنا)) !! موضع استهزاء بعض السطحيين الذين لا يعرفون من الثقافة اكثر من القشور !! ..



وما آلمني اكثر واكثر هو موقف جورنج ..

جورنج اراد ان يؤكد نظريته بان تدخلى في السياسة لم يكن اكثر من عبث اطفال .. لذلك ضربني بكتفه وقال لي باستهزاء :

ـ هل حقيقة هذه هي الشروط التي طرت بها الى بريطانيا ؟

فتعجبت .. وسكت ولم ارد .. وقلت لنفسي : حتى جورنج سار في موكب النفاق . انه يعلم حقيقة كل شيء ، ووافق على كل شيء ، والآن بعد الهزيمة يتنكر ويسأل !

لذلك لم ارد عليه بأى كلمة .. بل رددت عليه بنظرات اشد قسوة من اى كلام .. نظرات احتقار شديدة .. هل الحرص على الحياة يكون على حساب كل المبادىء والاخلاق والصدق يا هرمان جورنج ؟!!

وكأن جورنج خجل من نفسه .. فعاد يسألنى ثانيا ، رغم اننى لم اجبه على السؤال الاول :

ـ هل قلت هذا الكلام فعلا للمسئولين البريطانيين يا رودلف ؟

كل هذا! وانا لم افقد اعصابى بعد .. ولم أرد عليه .. أو انفجر فيه ؟

ثم انهى جورنج حواره الذى كان من جانب واحد !! حينما قال متهكما :

ـ على العموم تهنئة حارة على جهودك العظيمة من اجل تحقيق السلام واقامة حلف راسمالى يسود العالم ..



وفى هذه الاثناء كان زعماء النازى يتناقشون حول هذا الموضوع .. وقد رفض كل الموجودين عدا « شاخت » ان يصدقوا ان هتلر كان لديه ادنى علم برحلتى !! .. أما « شاخت » وزير المالية الالمانى ومدير البنك المركزى للرايخ واكبر عقلية تجارية مالية فى المانيا بل فى العالم .. فقد امسك بشاربه .. وبدا يفكر .. قبل أن يقول :

ـ لا .. أنا اعتقد ان هتلر كان يعلم بالرحلة ..

وكانت تكفينى شهادة « شاخت » .. ويكفى لكى تعرف قيمة « شاخت » ان الحلفاء اخرجوه من القضية كما تخرج الشعرة من العجين .. ثم استعانوا به فى كل مشروعاتهم المالية ، واخطرها حاليا السوق الاوربية المشتركة ؟!!

الفصـــل الرابع عشر

قلــت للمـحكمـة :

هــايـل هتـــلر

منذ يوم ١٧ فبراير حتى يوم ٢٢ مارس .. لم يذكر احـد اسمى .. لذلك اكملت اكثر من قصة بوليسية .

وكان يوم ٢٢ مارس موعد الدفاع عنى .. وقد فوجئت بعدم وجود « الدكتور فون روهر شيدت » بين المحامين .. ولكنى لم احفل كثيرا بهذا .. فما قيمة دفاعه ..

دخلت هيئـة المحكمة القـاعة .. وساد صمت رهيب قطعه رئيس المحكمة « لورد لوتس » قائلا :

ـ الدفاع عن المتهم رودلف هيس ..

فتقدم شخص قدم نفسه بانه الدكتور سيدل المحامى .. ثم قال :

ـ لو سمحت لى المحكمة .. ان الدكتور فون روهر شيدت محامى المتهم رودلف هيس دهمته سيارة منـذ سـاعتين اثنتين فقط ! .. وهو فى المستشفى الآن يعانى كسرا خطيرا مضاعفا فى عظام ساقه .. لذلك لو سمحت لى المحكمة أن أقوم بمهمته بعد أن أخذت بيانا بكل ما يريد ان يقوله أمامكم .

وبعد لحظات .. تشاور خلالها رئيس المحكمة مع الاعضاء .. قال الرئيس ..

ـ ما رأى الادعاء ؟

ـ لا مانع ..

وبدا الدكتور سيدل دفاعه بسرد التهم الاربع الموجهة ضدى ، وهى : ـ ١ ـ التآمر على شن حرب عدوانية ـ ٢ ـ ارتكاب جرائم ضد السلام ـ ٣ ـ ارتكاب جرائم حرب ـ ٤ ـ ارتكاب جرائم ضد الانسانية جمعاء .

ثم قال الدكتور سيدل :

ـ أنا لن أتكلم كثيرا عن التهمتين الثالثة والرابعة ، لاننى واثق ان عدالة المحكمة ستبرىء موكلى على أساس انه كان سجينا فى بريطانيا ، حينما بدأت جرائم الحرب والجرائم ضد الانسانية تأخذ شكلها المثير التراجيدى على مسرح الاراضى التى احتلتها قوات النازى .. اما عن التهمتين الاولى والثانية ، فلى كلام كثير ..

وفتح الدكتور سيدل ملفا كبيرا امامه .. وبدأ واضحا انه قرر ان يتخذ من رحلتى الى انجلترا دليلا قاطعا على رغبتى « العارمة » فى السلام ، ووضع حد للتطاحن .. قال :

« لقد كانت الحرب فى بدايتها عندما سافر المتهم الى عدوه فى عقر داره ليضع يده فى يد العدو مضحيا بحياته أو على الاقل بحريته من أجل ان يسود السلام فى العالم » .

... وظل الدكتور سيدل يستخدم كلمات رنانة شديدة البلاغة .. ولكنى سئمت .. بل اشمأززت ونفرت منه .. انه يستجدى ان اعيش !! . انه يتسول ان ابقى حيا ! لذلك امسكت بقصتى واكملتها .



ويا للمفارقات .. لقد كانت القصة عن لص سرق لكى يقيم اود اولاده .. بعد ان ذبح كل القطط التى فى الحى ، واكلها !! ..

وكذلك الكلاب ! . ولم يعد هناك ما يمكن أن يقدمه لفلذات كبده من طعام . فاصبح بين اختيارين اما ان يموتوا جوعا او ان يسرق بعض الطعام .. فسرق .. وجلس فى القفص مبتسما لقضاته ساخرا منهم ..

ولعلنى اندمجت كثيرا فى القصة ، حتى تقمصت شخصية البطل !

وقد كان المنظر غريبا .. المحامى يدافع عنى بحماسة وحرارة وانا لا اضع السماعات ، ولا اصغى لما يقول ، وحتى لا انظر اليه . بل أقرأ قصة بوليسية واضحك وأحيانا أنظر الى القضاة وأمط شفتى باشمئناط ! .. حتى ظن بعض الحاضرين انها « حركة » منى أؤكد قصور قواى العقلية !



وفى يوم ٥ يوليه .. افتتح رئيس المحكمة « لورد لوتس » الجلسة قائلا :

ـ **المتهم رودلف هيس**

فى الحقيقة اننى لم اسمعه .. لذلك فوجئت بحارسين يمسكان ذراعى الاثنتين . ويساعدانى على النهوض .. فتساءلت :

ـ **ماذا حدث ؟ !!**

فلكزنى احدهما وقال لى بالالمانية :

ـ **المحكمة تناديك !!**

وكانت هذه الحركة « القذرة » من الحارس الجندى الذى كان الاف أمثاله يقفون « انتباه » بمجرد سماعهم صوتى أو حتى اسمى !! .. كانت هذه الحركة لها اثرها على ما أدليت به بعد ذلك امام المحكمة .. فقد رايت ان حياتى اصبحت لا تساوى شيئا .. لان اهم شىء فى حياة الانسان هو كرامته !

وعندما وقفت أمام المحكمة ، وبيدى القصة ! سالنى القاضى « لورد لوتس » :

ـ هل لديك ما تريد ان تقوله للمحكمة يارودلف هيس قبل ان تنطق المحكمة بالحكم ؟

فشددت قامتى بحركة عسكرية متكلفة .. ورفعت رأسى ونظرت الى المحكمة نظرة حاولت ان احملها بقدر الامكان ما استطيع من صلف وكبرياء وعجرفة .. وقلت :

ـ قضاتى أعضاء ((هذه)) المحكمة . انا غير معترف بكم .. اولا واخيرا .. قلت هذا فى بدء المحاكمة . واكرره اليوم وأؤكده قبيل أن تصدروا حكمكم .

واخذ سيل الشتائم والسباب ينهال من فمى ، كأنه صنبور مياه تلفت جلدته !! .. وهنا قاطعنى « لورد اوتس » رئيس المحكمة بحدة .. وقال لى وهو يضرب بالشاكوش فوق المنصة :

ـ ايها المتهم .. اذا كان لك دفاع عن التهم الموجهه اليك فقله .. ولكن لا نسمح لك هنا بالمهاترات .

وهنا لويت شفتى فى استياء وازدراء .. ودارت عيناى دورة سريعة على كل من فى القاعة . قضاة ومحامين ومتهمين وحرسا وصحفيين . .أردت أن أشاهد خشبة المسرح بكل من عليها من ممثلين ومهرجين .. وظن الجميع اننى لن أتكلم بعد هذه الاهانة .. هل دارت الأيام حتى اصبح كلامى هراء ومهاترات ؟؟! .. يا لسخرية الزمان !! اين انت يافوهرر هتلر لكى تشرح لهذا العالم من هو رودلف هيس ؟؟ .. اين انت يا فوهرر . ؟؟ . وفجأة وكأن هتلر بشحمه ولحمه يناديني من هذا الركن .. ركن القاعة بجوار المنصة .. فلم اتمالك نفسى .. وفى اثناء هذا الصمت الرهيب الذى ساد القاعة .. ارتفعت ذراعى بحركة متشنجة ؛

واديت التحية النازية لزعيمى هتلر ، وبكل ما أوتيت من قوة صوت قلت له :

ـ « هايل هتلر .. هايل هتلر » !

وظن الجميع اننى أجيد التمثيل . ولكن الحقيقة أننى تمثلته تماما امامى فى هذه اللحظة ..

ثم بدات اتكلم بصوت حاد مرتفع النبرات .. قلت كل ما فى قلبى .. كأنى اتحدث امام أحد اجتماعات النازى .. قلت بالحرف الواحد :

ـ لقد اتيح لى ان أعمل لسنوات طويلة تحت امرة اعظم قائد انجبته الأرض الالمانية على مدى الف عام .. وانه ليسعدنى ان اكون قد اديت واجبى نحو شعبى ، وواجبى كالمانى وكنازى وكتابع امين للفوهرر زعيمى .. ولست آسفا على شىء بالمرة .. ولو اتيح لى ان ابدأ حياتى كلها من جديد لفعلت نفس ما فعلته من قبل .. حتى لو كنت اعلم سلفا اننى فى النهاية سوف القى حتفى حرقا مصلوبا على خازوق ! ..

انا لا يهمنى ماذا ستفعلونه بى ... فذات يوم ساقف امام عرش العدالة الالهية فى السماء .. وسيسألنى وساجيب .. وانا واثق ان الحكم سيكون لى .. وهذا ما يهمنى فعلا ..



ثم ساد الصمت لحظة .. قطعه رئيس المحكمة !

ـ هل لديك يا هيس كلمة تعقب بها على الاتهامات الموجهة اليك .. قلها باختصار .

فقلت وكلى ثقة بالنفس :

ـ قضاتى اعضاء « هذه » المحكمة .. احب ان اكرر لكم ثانيا .. قبل أن تفتحوا الدرج لتخرجوا الحكم منه ! اكرر وانا فى

كامل قواى العقلية اننى مسئول مسئولية تامة عن كل قرار اتخذته او وقعته .

وعندما سكت .. وعدت الى مكانى .. كان الصمت مطبقا .. ولكن ما لبثت الضوضاء ان ارتفعت رويدا رويدا .. الكل يهمس .. انه مجنون حقا وانا اقول لنفسى .. بل هم المجانين ..

ووسط هذه الضجة اضطر رئيس المحكمة ان يعلن !

ـ رفعت الجلسة



فى ٥ يناير ١٩٧٠ .. بعد غياب دام ٢٩ عاما .. رايت ابنى الصغير وقد تحول الى شاب عمره ٣٢ عاما ورايت زوجتى الشابة الجميلة وقد تحولت الى عجوز وقور



كان جورنج عنده امل كبير ان ينجو من حكم الاعدام •• كان لايهمه اى حكم بالسجن •• ولكنه كان يخشى الاعدام



كان جورنج يستطيع الانتحار فى اية لحظة •• ولما فقد الامل نهائيا فى الحياة اختصر من عمره ساعتين وانتحر ••!!

الفصل الخامس عشر

كيف انتحر جورنج

انتهت محاكمات نورمبرج .. يوم أول أكتوبر ١٩٤٦ ..

كانت أطول محاكمة عرفها التاريخ .. فقد استمرت ٢١٧ يوما . وفى اليوم التالى تلا رئيس المحكمة (لورد لوتس) الاحكام ضد ٢١ من زعماء النازى ..

وكانت جلسة النطق بالحكم لها قصة طريفة معى ..

مر علينا الكولونيل (اندروس) قائد السجن فى الزنزانات المخصصة لنا فى البدروم . ليقول :

ـ استعدوا غدا النطق بالحكم !

وعندما قال لى هذه العبارة استوقفته .. وسألته :

ـ وهل النطق بالحكم له هذه الاهمية يا كولونيل ؟

ـ نعم .. انه سيقرر مصيرك !

ـ مصيرى معروف ! !

فقال الكولونيل بصلافة :

ـ هذا الكلام لن يفيدك كثيرا ..

وفى صباح يوم الجلسة .. صادر الحارس الرواية التى كانت معى وقال لى :

ـ لا يجوز أن تقرأ قصصا فى جلسة النطق بالحكم

قلت له :

ـ وماذا يعنيك أنت ..

ـ لا بد أن تحترم المحكمة

ـ حتى لو لم أكن معترفا بها ؟ ؟

فرمقنى بنظرة .. وسكت .. المهم انه صادر الرواية نهائيا !

كان كل الزملاء متلهفين على وضع السماعات على آذانهم بمجرد جلوسهم .. ولكنى رفضت استخدام السماعة ..

فمال جورنج على كتفى وقال لى :

ــ ألا تريد أن تسمع الحكم أيضا يارودلف ؟

فقلت له :

ــ أعرفه جيدا ..

ــ دائما متشائم ! ؟

وسرحت .. أستعرض ماضى عمرى كله فى وقت النطق بالحكم .. هل هذه هى نهايتى ؟ ؟ ..

ونطق القاضى بكل الاحكام .. وانتهت الجلسة وأنا لا اعرف بماذا حكمت المحكمة ضدى على وجه اليقين ؟ ؟ .. وطلب الحراس منا أن نغادر القفص . فى نفس الوقت الذى كان يصرخ فيه بعض الزملاء المتهمين وهم يقولون :

ــ اننا لم نرتكب ذنبا .. كل ما فعلناه أننا كنا مخلصين لبلدنا وزعيمنا .. وربنا ! !

بينما قال آخرون :

ــ ان كبرياءنا لا تسمح لنا بالموت شنقا .. لذلك كل ما نطلبه ان يكون الاعدام رميا بالرصاص كما يحدث فى ساحات الحرب ..

اثنان فقط قالا ان الاحكام عادلة .. وهما البرت سبير وفون ستراتيشر ..

وكان حكمهما بالسجن !

وواحد فقط لم يتكلم قط .. لا بالاحتجاج ولا بالتأييد .. وهو هرمان جورنج .

كل هذا .. حتى وصلنا الى بدروم القصر .. وأنا لا اعرف بماذا حكم ضدى هؤلاء الحمقى ؟ ؟

وسألت الكولونيل اندروس قائد السجن ؟

ــ متى ستنفذون احكام الاعدام ؟

ـ بعد منتصف ليلة السادس عشر من اكتوبر .. اى بعد حوالي أسبوعين .. ولكن ما شأنك انت بهذا ؟
ـ ألا تريدني أن أعرف متى سأموت ؟
ـ ان الحكم ضدك ليس بالاعدام .. آلا تعرف حكم المحكمة ؟!
ـ أبدا .. لم أسمعه
ـ انه السجن مدى الحياة
ـ ولماذا لم يحكموا بالاعدام ؟
ـ لأنك برىء من تهمتى الحرب والجرائم ضد الانسانية

وكان الكل حولى يتعجبون .. كيف لم اسمع الحكم ؟

وظن بعض الحاضرين أننى أتظاهر بالجنون كمحاولة اخيرة للافلات من العقاب .. ولكن هذه هى الحقيقة !

وفى الساعة الحادية عشرة الا ربعا من ليلة السادس عشر من أكتوبر سمع الحارس المخصص لزنزانة جورنج صوتا غريبا .. صوت ارتطام شىء ثقيل بالارض .. فأطل من (الكوة) المخصصة للمراقبة .. فشاهد جورنج ملقى على الارض وهو يتلوى ويتقلص بحركات متشنجة ، فنفخ فى صفارته ، واندفع يفتح الزنزانة ووراءه كل الحرس وقائد السجن والطبيب .. ولكن بعد فوات الأوان .. كان هرمان جورنج قد مات .. وعثر الأطباء الذين فحصوا جثته على شظايا زجاج تحت لسانه وبقايا من مادة سيانور البوتاسيوم فى فمه .

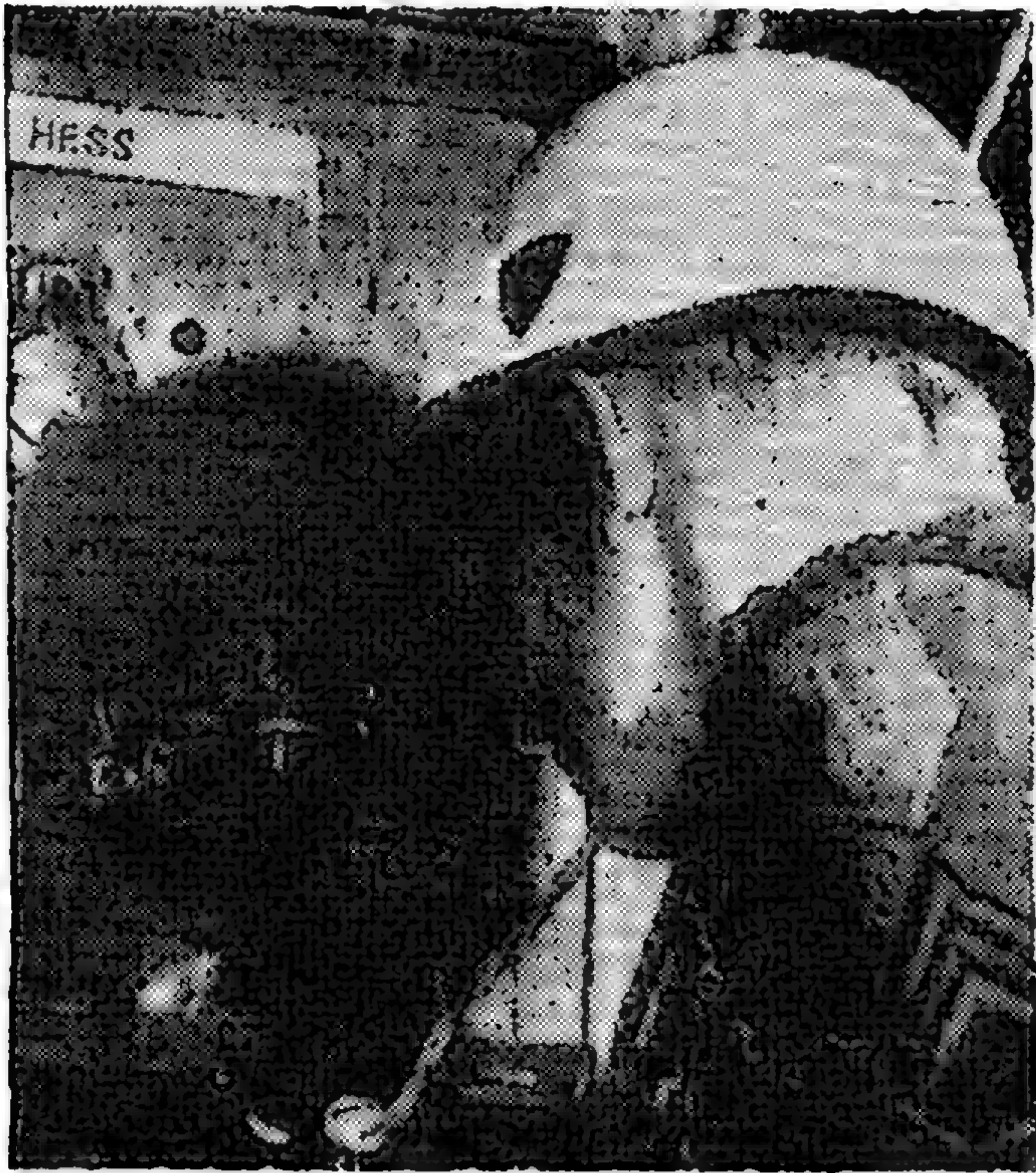
واكتشفت سلطات السجن فى صباح اليوم التالى انبوبة صغيرة جدا من النحاس ، يبدو انها كانت الوعاء للكبسولة الزجاجية التى بها المادة السامة ويبدو أيضا أنها كانت فى حوزة جورنج منذ اللحظة الاولى لاعتقاله . ولعله كان يخفيها فى فمه تحت لسانه .

.. لقد كان جورنج يستطيع الانتحار فى أى لحظة .. ولكنه فضل أن يشهد المحاكمة بأسرها ، عسى أن يفلت بجلده فلما أيقن أن لا مفر اختصر من عمره ساعتين !

وكان من نتيجة انتحار جورنج أن ضوعفت الحراسة ، واتخذت التدابير المعقولة وغير المعقولة مع المحكوم عليهم بالاعدام .

حتى جاءت الساعة الواحدة والدقيقة ١١ كبدا تنفيذ حكم الاعدام فى ١٢ من الزملاء .. فقد كان عدد المحكوم عليهم بالاعدام ١٣ .

وفى تمام الساعة الثانية والدقيقة ٤٥ ، أعلنت ادارة السجن انها انتهت من عملية القتل الجماعى !



فى كل زنزانة من زنزانات سجن نورمبرج (كوة) صغيرة يستطيع الحارس ان يشاهد منها كل ما يجرى داخل الزنزانة ، ومع ذلك ، انتحر جورنج



فى الساعة الواحدة والدقيقة ١١ بعد منتصف ليلة السادس عشر من اكتوبر ١٩٤٦ بدأ تنفيذ حكم الاعدام فى ١٢ من الزملاء ‥ كان عدد المحكوم عليهم بالاعدام ١٣ ‥ ولكن انتحر جورنج ‥ فاصبحوا ١٢ فقط ‥ وفى الساعة الثانية والدقيقة ٤٥ اعلنت ادارة السجن الانتهاء من عملية القتل الجماعى ‥

الفصل السادس عشر

أنا السجين الوحيد
وسط ثمانية أفندية

وفى صباح اليوم التالى .. فى بهو سجن نورمبرج .. اتضح لى انه لم يبق فى السجن سواى وستة مسجونين آخرين فقط ..

فسألت قائد السجن :

ـ هل سيطول بنا المقام فى هذا البدروم ؟ !

ـ ابدا .. ايام قليلة !

وكانت الايام القليلة تسعة أشهر !

ففى الساعة الرابعة من صباح يوم ١٨ يوليو ١٩٤٧ .. ايقظنى الحارس بغلظة ليقول :

ـ احزم امتعتك .. ستنقل الى سجن آخر !

ـ وهل هذا وقته .. ألا يمكن ارجاء هذا الى الصباح أيها الحمقى !

فزمجر الحارس وسب وشتم .. فقلت له :

ـ صه .. أيها الأبله الغبى .

وفى الساعة الحادية عشرة صباحا .. دلفت سيارة سوداء مقفلة من بوابة سجن اسمه سجن سبانداو . وبداخلها نحن السبعة .. وقد قرأت على باب السجن لافته تقول :

((لا تقترب من السور .. الحراس لديهم أوامر باطلاق النار فـورا)) .

ونزلنا نحن السبعة من السيارة .. كنت آخر من نزل من السيارة كان رقمى ٧ .. وظل هذا هو رقمى حتى يومنا هذا .. رغم أن بعض الستة الذين كانوا معى أصبح حرا خارج الأسوار .. وبعضهم الآخر « تحررت » روحه من الأرض ومن فيها وصعدت الى السماء !

.. كان ترتيبنا فى النزول كالآتى : فون سترايتشر «رقم ١»

والاميرال كارل دونتز « رقم ٢ »

والبارون كونستانتين فون نورات « رقم ٣»

والاميرال أريك رايت « رقم ٤ »

والبرت سبير « رقم ٥ »

ووالتر فانك رقم « ٦ » .. وأخيرا هتف الرجل :

ـ انزل أيها السجين .

وكان يقصدنى .. فلم يبق سواى داخل العربة . فنزلت فاصبح رقمى ٧ .



وزنزانتى رقم ٧ طولها متران ونصف متر ، وعرضها متر ونصف متر .. تحتوى على سرير من الحديد عليه مرتبة وملاءة بيضاء ، ومقعد من الخشب ، ومنضدة وحوض غسيل ، وصندوق خشبى ، وفوطه ، وصابون .. وفى أعلى الجدار المواجه الباب نافذة مغطاة بشبكة حديدية ثقيلة .. وفى وسط السقف مصباح كهربائى مغطى بدوره بشبكة من السلك القوى .

كان السجن فى الاصل معدا لاستقبال ٦٠٠ سجين ، ولكنه الآن سيخصص لنا نحن السبعة فقط !

وسجن سبانداو هو قلعة رهيبة الشكل .. مبنية بالطوب الاحمر .. تطل على فناء مساحته نحو ثمانية أفدنة ! .. وهى

تكون ما يشبه الجزيرة فى قلب برلين الغربيـــة .. وقد قامت ببنائها الدول الاربع الكبرى التى انتصرت فى الحرب ، ويتــولى جنود من هذه الدول الاربع الحراسة المشتركة فى هذا الســجن كل دولة تحرس السجن لمدة شهر واحد على التوالى !

والنظام قاس للغاية .. ولأول مرة شعرت بأن السجن عقوبة فعــلا ! ..

وكان أول طلب تقدم به زملائى لادارة السجن هو رؤية أهلهم .. ولما جاءنى قائد السجن ليسألنى عن طلباتى قلت له :

ـ لا شىء بالمرة

ـ ما هو عنوان أهلك لكى يحضروا لزيارتك ؟

ـ لا أريد أن يزورنى احد .

قلت هذا برغم أننى الوحيد من بين هؤلاء الذى لم ير أسرته منذ ١٩٤١ .



وفى نهاية عام ١٩٤٧ .. تلقيت هــذا الخطــاب من زوجتى « الزى » ..

« عزيزى زوجى الحبيب ..

تتبعت باعتزاز وفخر كلامك فى محكمــة نورمبرج .. وعلى قدر خوفى عليك كنت فخورة بك .. كنت أمسك بالصحف واسير فى الشارع . وبودى لو أصرخ فى كل الناس حولى ، لأقول لهم : أنا زوجة هذا الرجل الذى يقول ما يعتقد رغم كل الظروف .. رجل لاتهمه حياته فى سبيل مبدأ اعتنقه .. رجل معتز بكرامتــه أيما اعتزاز حتى لو كانت سلاسل الحديد فى يديه .

« عزيزى رودلف ـ سأحتفظ بكل الصحف دبكل ما قيل عنك، لكى أطلع ابنك وولف عليها يوما ما .

عزيزى رودلف ـ هل تذكر صديقنا القديم شميدت ؟ .. انه

اكثر من شهم .. لقد اعطانى الكثير من المال ويعتنى بابننا وولف .. وقد اهدى لنا فيلا صغيرة فى مدينة « ميندیلانج » .. حيث نعيش الآن وقد استأنف وولف هنا تعليمه مرة اخرى بعد أن انقطع طوال السنوات الأخيرة » .



وفى عام ١٩٥٩ .. جاءنى خطاب من ابنى وولف يقول لى فيه :

« لقد بلغت الآن واحدا وعشرين عاما من عمرى .. وطلبونى للخدمة العسكرية فى جيش المانيا الغربية .. ولكننى قدمت التماسا اطلب اعفائى من التجنيد .. لان الدول الكبرى فى حلف الاطلنطى حكمت عليك بالسجن مدى الحياة .. لذا فضميرى لا يسمح لى بأن اعمل فى خدمة اناس اهانوا والدى وحاكموه محاكمة ظالمة غير عادلة وأصدروا ضده حكما جائرا .

« ورغم أن الالتماس رفض .. الا أننى لم أسلم نفسى لارادة الجيش ، وادارة الجيش من جهتها لم تعاود طلبى مرة اخرى » .



وتكررت زيارات أهل زملائى المسجونين لهم مرة كل أسبوعين لمدة عشر دقائق من وراء الاسلاك الشائكة .. بحيث لا يمكن للمسجونين أن يتصافحوا بالايدى مع اهلهم .

ولما كنت قد رفضت أى زيارة منذ وصولنا الى هنا عام ١٩٤٧ ، ولم يسألنى احد بعد ذلك عما اذا كنت ارغب فى هذه الزيارة أم لا .. ولما كانت كبريائى لاتسمح لى بأن أكون أنا البادىء بالسؤال .. لذلك ظللت بعيدا عن زوجتى وابنى حتى يوم ٥ يناير الماضى (١٩٧٠) ! حين زارتنى زوجتى ومعها ابنى (وولف) .. وكانت آخر مرة رأيت فيها « وولف » يوم ١٠ مايو ١٩٤١ .. رأيته بعد ٢٩ عاما .. كنت قد تركته قبل أن يتم عامه الرابع

ثم رأيته وعمره ٣٢ عاما ! ورأيت زوجتى الشـــابة الجميلة وقد تحولت الى عجوز وقور .

وكانت الزيارة بلا أسلاك شائكة . وبلا زمن محــدد .. فأنا السجين الوحيد هنا .. سجين وحيد فى ســجن بنته أربع دول كبرى على مساحة ثمانية أفدنة !



انهم يودون أن أكتب التماسا للافراج عنى .. ولكنى لن أفعل بعد أن بلغت هذه السن ! .. أنا الآن وصلت الى سن السادسة والسبعين .. وسأظل وحدى وسط ثمانيـــة أفدنة أكلف الدول الاربع الاف الجنيهات كل شهر مصاريف حراسة وصـــيانة .. ولن أكتب التماسا .. ! ألم أقل فى البداية اننى عنيد !!

((تمت))

عبد الرحمن فهمى





كتاب الجمهورية الديني

القيم الروحية

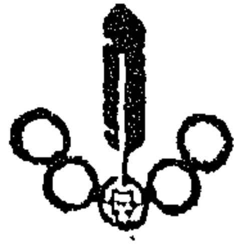
في خطاب الرئيس جمال عبد الناصر

حين أسرح بخيالي إلى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة .. أخرج بإحساس كبير بالإمكانيات الهائلة، التي يمكن أن يحققها تعاون بين هؤلاء المسلمين جميعاً، تعاون لا يخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية بالطبع، ولكن يكفل لهم ولإخوانهم في العقيدة قوة غير محدودة .

جمال عبد الناصر

مع الباعة

الثمن ٥ قروش



مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر

« مطابع شركة الاعلانات الشرقية »